مكتبة الدراسات الاجتماعية

تاريخ المغرب والأندلس

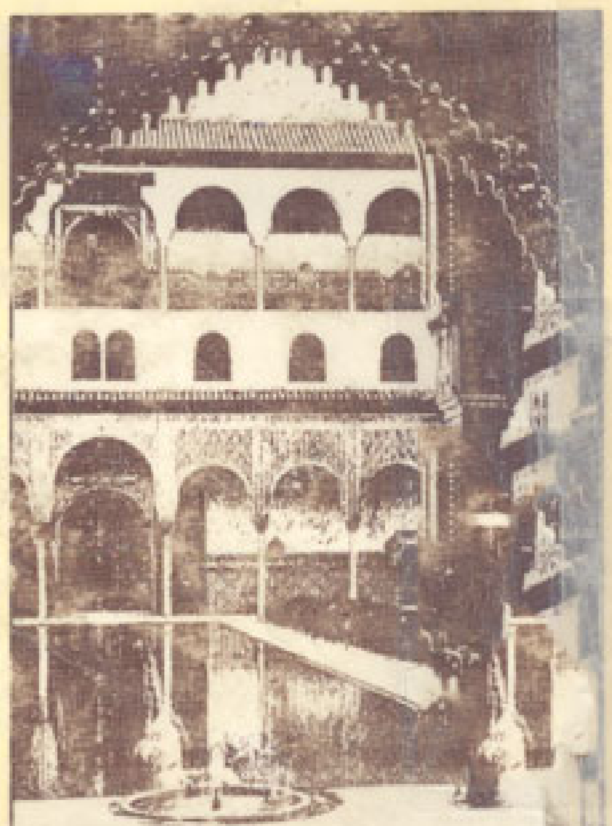
من القرن السادس الهجري حتى القرن العاشر الهجري

تأليف

الدكتور أحمد عودات — الدكتور شحادة الناطور

الدكتور جميل بيضون — الأستاذ [illegible]





دار الأمل للنشر والتوزيع

مكتبة الدراسات الاجتماعية

تاريخ المغرب والأندلس

من القرن السادس الهجري حتى القرن العاشر الهجري

تأليف

الدكتور أحمد عودات
الدكتور شحادة الناطور
الدكتور جميل بيضون
الأستاذ محمد محاسنة



دار الأمل للنشر والتوزيع

تاريخ المغرب والاندلس

من القرن السادس الهجري حتى القرن العاشر الهجري

رقم الاجازة المتسلسل: ٦٥٣/ ١٢/ ١٩٨٩
رقم الايداع لدى دائرة المكتبات والوثائق الوطنية (٧٢٩/ ١٢/ ١٩٨٩).
تاريخ تقديم المخطوطة: ٣٠/ ١١/ ١٩٨٩

٩٠٦ر٩ع٦
تـا
تاريخ المغرب والأندلس من القرن الخامس الهجري حتى العاشر الهجري/ أحمد عودات... (وآخرون).- اربد: دار الأمل للنشر والتوزيع، ١٩٨٩.
(١٨٤) ص
ر. أ (٧٢٩/ ١٢/ ١٩٨٩)
١ - المغرب - تاريخ - عصر قديم. ٢ - الأندلس - تاريخ - عصر قديم. أ - أحمد عودات... (وآخرون)، مؤلفون مشاركون.

(تمت الفهرسة بمعرفة دائرة المكتبات والوثائق الوطنية)

دار الأمل للنشر والتوزيع

اربد / ص. ب ٤٦٩
تلفون ٢٧٦١٧٤

أهداف الكتـــاب

١ ـ ان يتعرف الطالب على أوضاع الدولة الفاطمية في المغرب العربي والدولة الاموية في الاندلس في نهاية القرن الرابع الهجرى .

٢ ـ ان يفهم الطالب تاريخ دولة المرابطين في المغرب والاندلس وعلاقتهم بالممالك المسيحية في الاندلس ومع الصنهاجيين وبني زيرى وبني حماد وكذلك مع الخلافة العباسية .

٣ ـ ان يتعرف الطلاب على دور المرابطين في الحضارة العربية الاسلامية .

٤ ـ ان يدرك الطلاب دور الموحدين في المغرب والاندلس وأثرهم سياسيا وحضاريا .

٥ ـ ان يفهم الطلاب عصر الدويلات ، وأثر التجربة في سقوط الاندلس وخروج العرب منها .

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

يسرنا أن نضع بين أيدى اخواننا الاساتذة وأبنائنا الطلاب كتاب تاريخ المغرب والاندلس من القرن الخامس الهجرى حتى العاشر وهو يتحدث عن دور أمتنا العربية الاسلامية في عهدى المرابطين والموحدين وماقبلهم ومابعدهم ، وبخاصة فترة التجزئة والانقسام في الاندلس •

وقد بين الكتاب دور المرابطين والموحدين في لم شمل الامة مما أدى الى تحقيق الانتصار على الاعداء •

والكتاب يظهر بوضوح أثر التجزئة على الامة ، مما يشجع الخصوم من النيل منها ، كما يوضح دور الوحدة في تحقيق النصر ، وماأشبه اليوم بالامس •

وأخيرا

كلنا أمل أن يسد هذا الكتاب جزءا من أنواع الفراغ الذى قد يشعر به الزملاء عند تدريس هذا المساق • ومهما بذلنا فسيبقى الكتاب ناقصا لان الكمال لله وحده ، وأملنا أن يسد اخواننا الاساتذة كل نقص ، وأن يزودونا بملحوظاتهم وارشاداتهم لنأخذ بها في المستقبل •

والله نسأل أن يأخذ بأيدينا الى مافيه الخير ، انه نعم المولى ، وهو الهادى لكل صواب •

المؤلفون

١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م

التمهيد

الوجود العربي في المغرب والاندلس

- فتح المسلمين للمغرب والاندلس

فتح المسلمين للمغرب والاندلس

شرع العرب في فتح بلاد المغرب العربي منذ عام ٢١ هـ / ٦٤٢ م في ولاية عمرو بن العاص على مصر ، وذلك من أجل تأمين حدود مصر الغربية والاستمرار في نشر الاسلام في شمال افريقية ٠

فتمكن المسلمون من فتح مدينة برقه وطرابلس سنة ٢٢ هـ / ٦٤٣ م[(١)] تمهيدا لدخول افريقية التي تم فتحها على يدى عقبه بن نافع سنة ٤٩هـ /٦٤٣م[(٢)] وكانت افريقية اذا دخلها امام أجابوه الى الاسلام ، فاذا خرج منها عادوا من الاسلام الى الكفر ، فأشار عقبة بن نافع على المسلمين ان يتخذوا فيها مدينة تكون عزا للاسلام ، واتفق الناس على ذلك فبنوا مدينة القيروان[(٣)] ٠

وتابع عقبة بن نافع فتوجه في بلاد المغرب حتى وصل الى طنجة سنة ٦٢ هـ / ٦٨٢ م ٠ وتولى بعد ذلك موسى بن نصير على افريقية لعبدالملك بن مروان ، وبدأ جهاده في تلك الانحاء ، واستمر في فتح البلاد التي لم يدخلها الاسلام من قبل ، فأتم فتح بقية المغرب سنة ٨٩ هـ /٧٠٩ م[(٤)] ٠

أما الاندلس فكان فتحها على يد طارق بن زياد سنة ٩٢ هـ / ٧١١ م[(٥)] ،

---

(١) ابن عذارى المراكشي : البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، ج١ ، ص٨

(٢) المصدر نفسه : ج١ ، ص ١٩

(٣) البلاذري : فتوح البلدان ، ص٢٣٠

(٤) المصدر نفسه : ص ٢٣٢

(٥) المصدر نفسه : ص ٢٣٢ ـ ٢٣٣ ٠

فدخلها بمن معه من العرب والبربر ، وتمكن من اختراق بلاد الجزيرة واستولى على قلاعها وهزم ملك القوط واحتل عاصمتهم ، واتم موسى بن نصير فتح الاندلس ، وعزم على مواصلة الفتوح في شمال اسبانيا وفكر في الاتجاه شرقا حتى يصل الى القسطنطينية التي عجز العرب عن فتحها ، فدخل الاندلس سنة ٩٣ هـ / ٧١٢ م وبدأ زحفه بالاستيلاء على مدنها المهمة التي لم تخضع لطارق بن زياد ودخل مدينة شذونه وقرمونه وهي حصن منيع ثم فتح اشبيليه بعد حصار دام شهرا ، وفتح مارده بعد عناء كبير سنة ٩٤ هـ / ٧١٣ م ، والتقى بطارق بن زياد على مقربة من طليطله ، واشتركا في مواصلة الفتح في الشمال واستوليا على سرقسطة ورشقه ولارده حتى وصلا حدود فرنسا الجنوبية .

وعندما علم الخليفة الاموى الوليد بن عبدالملك بن مروان بخطة موسى بن نصير استدعاه هو وطارق بن زياد ، خوفا من ان يعرض المسلمين للخطر وطلب منه ان يعدل خطته ، ورحل الى دمشق سنة ٩٥ هـ / ٧١٤ م(١)

ثم تبعت الاندلس حكم الدولة العربية الاسلامية حتى سنة ١٣٨ هـ / ٧٥٥ م حيث وصل اليها عبدالرحمن الداخل (الاول) ابن معاويه بن هشام الذى تمكن من الاستقلال بها عن دولة الخلافة العباسية ، فحكم الامويون الاندلس فيما عرف بعهد الامارة الذي امتد من سنة ١٣٨ ـ ٣١٦ هـ / ٧٥٥ ـ ٩٢٨ م(٢) ، وكان آخر أمراء الاندلس هو عبدالله بن محمد الاول الذى عين قبل وفاته حفيده عبدالرحمن الناصر بن محمد بن الامير عبدالله ليرثه في الحكم فتلقى عبدالرحمن من جده العناية والرعاية

---

(١) مجهول : أخبار مجموعة في فتح الاندلس ، ص ١٩

(٢) عبدالله أنيس الطباع : القطوف اليانعة من ثمار جنة الاندلس الاسلامي الدانية ، ص ٢٠ .

الفصل الاول

- الدولة الفاطمية في المغرب
- الخلافة الاموية في الاندلس
- دولة الطوائف والصراع مع الممالك المسيحية .

الدولة الفاطمية في المغرب

جاء قيام الدولة الفاطمية في المغرب العربي بعد محاولات متعددة منذ قيام الدولة الاموية ، وبالرغم من ظهور الفاطميين في المغرب الا ان تأثيرهم عليه لم يكن بدرجة كبيرة ، فالمذاهب السنية كانت هي السائدة ، بالاضافة الى المذهب الاباضي الخارجي ، وهو مذهب معتدل لايختلف كثيرا عن مذاهب أهل السنة .

وينتسب الفاطميون الى اسماعيل بن جعفر الصادق أحد أحفاد الامام على كرم الله وجهه ، وكانت شمال افريقية من أهم المناطق التي وجه اليها الفاطميون عنايتهم ، فتمكنوا ان يرثوا ملك الاغالبة ، ووسعوا نفوذهم ليشمل معظم الشمال الافريقي ، وبدأت الدولة الفاطمية سنة ٢٩٧ هـ / ٩٠٩ .[١]

وعندما تولى المعز لدين الله الخلافة الفاطمية سنة ٣٤١ هـ / ٩٥٢ م ، كان سلطان الفاطميين يمتد في المغرب الاوسط حتى ايفكان الواقعة وراء تاهرت ، وكان يحكم تاهرت يعلي بن محمد اليفرني ، كما كان زيرى الصنهاجي يتولى (آشيرو أعمالها) ، وجعفر بن علي الاندلسي على (المسيلة) ، وقيصر الصقلي على (باغايه) ، وكان زيرى الصنهاجي قد قام بعدة أعمال عندما استقل بولاية الزاب سنة ٣٢٤ هـ / ٩٣٤ م كبناء مدينة آشير ، ومدينتي جزائر بني مرغنه والمدية ، وتجديد بناء مدينة مليانه القديمة[٢] .

---

(١) أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الاسلامي ، ج ٤ ، ص ٢٩١ .

(٢) صالح أبودياك : الوجيز في تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٣٤٤ .

وخرج جعفر بن علي بن حمدون الاندلسي الذى خلف أباه على المسيله والزاب في فتنة زيرى سنة ٣٦٠ هـ / ٩٧٠ م[١] ، أما أحمد بن بكر بن أبي سهل الجذامي فكان يتولى مدينة فاس ، وخرج أهلها على المعز ، وبايعوا عبدالرحمن الناصر ، كما خرج على المعز يعلي بن محمد اليفرني ، ونقض طاعة الشيعة ، وبايع عبدالرحمن الناصر .

وغضب المعز لدين الله لخروج المغرب الاقصى على طاعته ، فسير جوهر الصقلي على رأس جيش كبير الى المغرب لاعادته الى النفوذ الفاطمي ، ونجح في الايقاع بعلي بن محمد اليفرني ، وضرب مدينة ايفكان ثم اتجه الى فارس وسجلماسة فاستولى عليها ، وتمكن جوهر من اعادة النفوذ الفاطمي الى القسم الاعظم من المغرب الاقصى ، وفر كثير من أعداء الدولة الفاطمية الى الاندلس .

ثم وجه المعز لدين الله قائده جوهر الصقلي باتجاه الشرق ، فزحف الى مصر ودخها سنة ٣٥٨ هـ / ٩٦٨ م بعد ان اشترط عليه أهلها ان يضمن لهم حرية العقيدة ونشر العدل والاستقرار .

واستقر جوهر في مدينة القاهرة وبنى فيها الجامع الازهر ، ثم بعث الى سيده المعز لدين الله ، فانتقل المعز مع اسرته الى القاهرة سنة ٣٦٢ هـ / ٩٧٢ م .

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج١ ، ص ٣٠٦ .

الخلافة الاموية في الاندلس

بعد وفاة الامير عبدالله بن محمد (الاول) كانت الاندلس بحاجه الى رجل حكيم لحل مشاكلها ، وتوفير الاستقرار المطلوب ، فقد أزعجها القلق ، وكثرت فيها المشاكل وحركات التمرد .

وكان عبدالرحمن الناصر الذى عهد له جده بالحكم من بعده أميرا حازما ذكيا عاقلا وشجاعا محبا للاصلاح ، فقاد الجيوش بنفسه وأنزل العصاه من حصونهم بالسيف أحيانا وبالسياسة الرشيدة أحيانا أخرى .

فأدب المتمردين من الحكام في شمال اسبانيا وأخضعهم لسلطانه عندما قبلوا الشروط التي أملاها عليهم ، وبلغت الاندلس في عهده من القوة حتى ان حكام اسبانيا الشمالية طلبوا منه في بعض الاحيان التدخل في حل مشاكلهم .

وتعرضت الاندلس في عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر لاخطار كثيرة كادت تطيح بملك المسلمين ، منها خطر النورمانديين الذين كانوا يهددونها منذ زمن عندما أغاروا على سواحلها في عهد الامير عبدالرحمن الاوسط الذى رد هذه الاخطار .

فتعرضت لخطر الفاطميين المقيمين ببلاد المغرب والذين أرادوا غزو الاندلس لجعل المغرب الاسلامي كله خاضعا لـ لتشيع الفاطمي ، فأرسل خلفاؤهم العيون الى الاندلس لكشف عوراتها والتجسس على أحوالها فكان لهم دورا هاما في الدعاية للفاطميين هناك ، ونجح الفاطميون في اجتذاب الانصار في الاندلس ، وعندها عمد عبدالرحمن الناصر الى محاربة الفاطميين بوسائل متعددة ، حيث عمد الى بث بذور الفتنة

بين قبائل البربر في بلاد المغرب فانضم اليه بنو ادريس ، وملوك زناته وصاحب المغرب موسى أبي العافية ، فأمده عبدالرحمن بالاموال والهدايا .

وأولى عبدالرحمن الناصر الاسطول عناية فائقة ، فعمل على تقويته ليدفع به عن الاندلس الاخطار البحرية ، ونازع به سلطان الفاطميين في البحر المتوسط ، ثم استولى على معبرى الاندلس وهما طنجه ومليلة سنة ٣١٤ هـ / ٩٢٧ م وسبته سنة ٣١٨ هـ / ٩٣١ م فتمكن من السيطرة على الملاحة في مضيق جبل طارق .

ولجأ عبدالرحمن الى توطيد علاقته ببعض الدويلات المغربية كدولة بني رستم الخارجية في تاهرت وشجع الثائرين على الخليفة الفاطمي ، ووطد علاقته بأعداء الفاطميين فتحالف مع ملك ايطاليا المعادى للفاطميين لتدميرهم ميناء جنوه ، كما تحالف مع امبراطور بيزنطة ومع الاخشيديين في مصر .

بعد ذلك توجه الناصر الى الممالك المسيحية في شمال اسبانيا ، وكان خطرها قد ازداد زيادة ملحوظة فتمكن من مواجهة هذه الممالك وحقق ضدها انتصارات عديدة حتى أذعن له أعداؤه بالطاعة وهادنوه وبعثوا اليه السفارات والهدايا طالبين الصلح .

وبويع عبدالرحمن الثالث بالخلافة في الاندلس سنة ٣١٦ هـ / ٩٢٨ م(١). وتلقب بلقب أمير المؤمنين ، فقد بدأت الخلافة العباسية في المشرق الاسلامي بالضعف بسبب تزايد نفوذ الاتراك ، كما أشار عليه بعض أهل الاندلس ان يعلن نفسه خليفة فكانت الخلافة الاموية في الاندلس وأصبح

---

(١) عبدالله أنيس : القطوف اليانعة ، ص ٢٠ .

في العالم الاسلامي في هذه الفترة ثلاث خلافات هي الخلافة العباسية والخلافة الفاطمية الناشئة في المغرب والخلافة الاموية في الاندلس [(١)].

وتولى بعده ابنه الحكم (المستنصر بالله) سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م ، وكانت الاندلس مستقرة ثابتة على أسس موحدة وحدودها آمنه ، وتنعم بالتقدم والعمران ، وسار الحكم على نهج أبيه ، وكان ميالا للسلم مما جعل بعض حكام الشمال يتصورون انه ضعيفا ، فبدأوا الهجوم على الاندلس واستعد لهم الحكم فجهز جيشا لتأديبهم قاده بنفسه فرد المعتدين وأمن حدود بلاده .

وبموت الحكم تولى ابنه هشام (المؤيد بالله) سنة ٣٣٦ هـ / ٩٧٦ م ، تبدلت الاحوال وأخذت الامور والاحداث مجرى جديدا ، ولم يكن هشام قادرا على النهوض بشؤون الامه : فقد كان صغير السن قليل الخبرة في شؤون السياسة والحكم .

وظهر في هذه الاثناء الحاجب المنصور (محمد بن أبي عامر) : الذى استطاع ان يأخذ السلطة لنفسه ويحكم باسم هشام . وكان محمد بن أبي عامر هذا اداريا وعسكريا من الطراز الاول ، وكان جده عبدالملك المعافرى قد دخل الاندلس مع جيش طارق بن زياد ، وتلقب محمد بن أبي عامر بالحاجب المنصور وأصبح الحاكم الحقيقي للاندلس ، وورث أولاده الحكم من بعده ، لذلك يعتبر بعض الدارسين زعامته بداية لعهد جديد .

فقد تمكن ابنه عبدالملك بن أبي عامر الذى تولى أمر الحجابة للخليفة هشام بن الحكم بن عبدالرحمن الناصر سنة ٣٩٢ هـ / ١٠٠٢ م ، أن

---

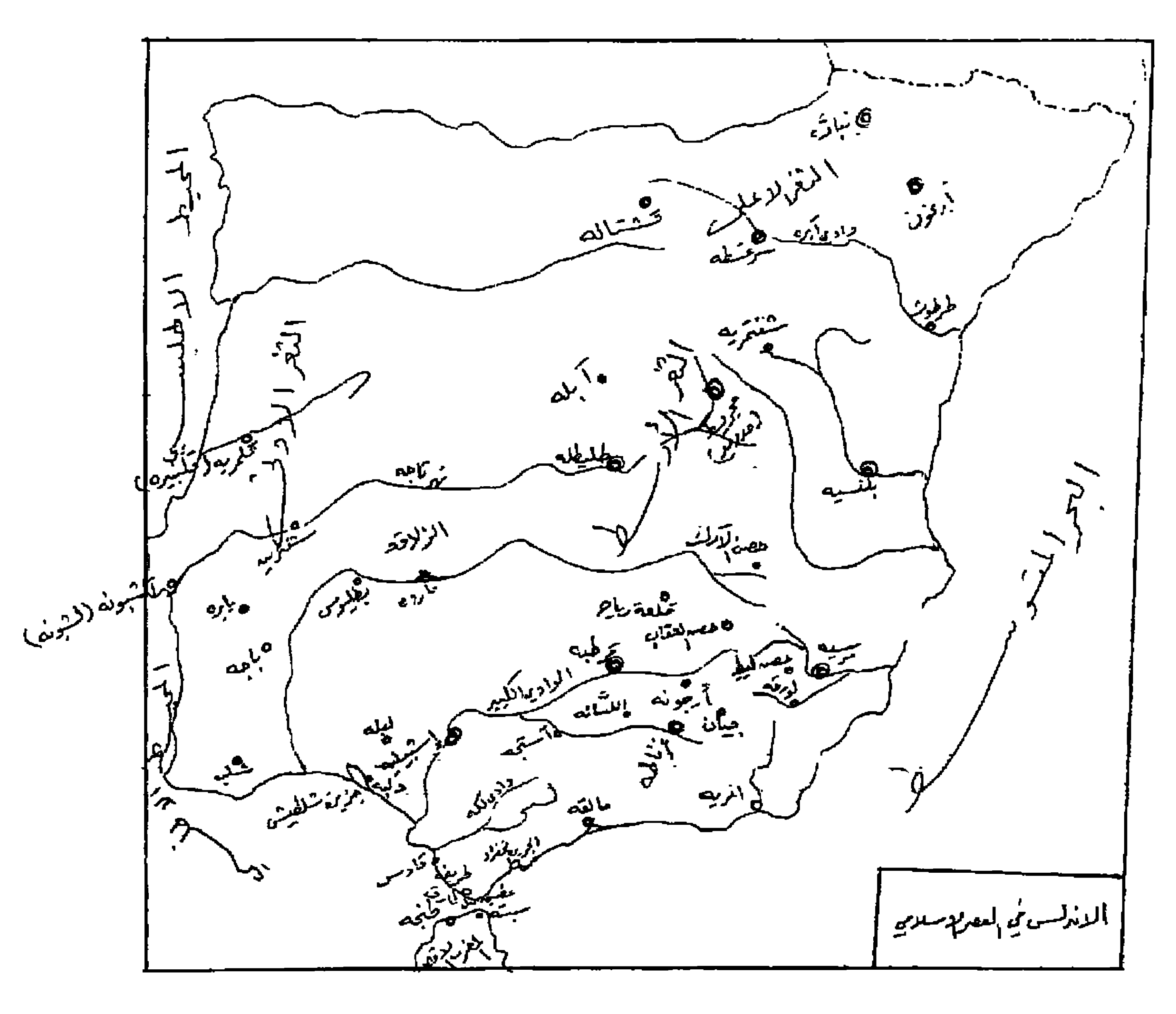
(١) عصام الدين عبدالرؤوف : تاريخ المغرب والاندلس ، ص ١٤٢ .

يقوم بأعمال جليلة في بلاد الروم ، فقد غزا بها سبع غزوات ، ودوخ الافرنج ، وفتح حصونا كثيرة كانت تابعة للممالك المسيحية [1] .

ثم توسط بين ملوك اسبانيا المسيحية ففي عام ٣٩٤ هـ / ١٠٠٤ م ، احتكم اليه ملوك النصارى فيما شجر بينهم من خلاف متوسط بين قومس قشتاله (شانجه بن غرسيه) وبين قومس غليسيه (مندس بن غندشلب) وغضب شانجه من هذا التحكيم فنقض العهد بينه وبين عبدالملك ، فخرج اليه عبدالملك وأوغل في أرضه ، ثم غاب عنه شانجه ولم يظهر فقفل عبدالملك عائدا الى قرطبه .

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٣ ، ص ٣ ومابعدها .


المحيط الاطلسي
البحر المتوسط
الاندلس في العصر الاسلامي
الثغر الاعلى
الثغر الاوسط
الثغر الادنى
نبارة
أرغون
سرقسطة
قشتالة
طرطوشة
شنتمرية
آبلة
طليطلة
بلنسية
الزلاقة
بطليوس
باجة
يابرة
قلعة رباح
حصن العقاب
قرطبة
الوادي الكبير
مرسية
لورقة
جيان
اشبيلية
لبلة
استجة
غرناطة
المرية
مالقة
جزيرة شلطيش
شلب
طنجة
سبتة

دول الطوائف والصراع مع الممالك المسيحية

- اسبانيا المسيحية (الشمالية)
- حكام طليطلة الطوائف (بنو النون)
- سقوط طليطلة
- حكام بطليوس الطوائف
- الدعوة الى التوحيد
- دعوة أبوالوليد الباجي لتوحيد المسلمين في الاندلس .
- دولة الطوائف
- حكام الطوائف في سرقسطة
- مملكة سرقسطة (الثغر الاعلى)
- مأساة بربشترية .
- حكام بلنسية
- مملكة بلنسية
- حصار بلنسية
- حكام اشبيلية
- مملكة اشبيليه
- معركة الزلاقة ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ .

اسبانيا المسيحية (الشمالية)

كانت مملكة ليون أقوى وأكبر ممالك اسبانيا النصرانية في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، الا انها بدأت تتخلى عن قوتها لتحل محلها مملكة نبارة التي توفي حاكمها غرسية شانجه الثاني ، وخلفه ابنه شانجه الثالث ، وكان متزوجا من البيرة أخت غرسيه حاكم قشتاله الذي اغتيل سنة ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩ م أثناء تأدية مراسيم زواجه ، فورث شانجه الثالث ملك قشتاله وعين على عرشها ابنه فردلند ولقبه ملكا فكان أول ملوك قشتاله ، بينما تلقب شانجه الثالث الذى احتل ليون (ملك اسبانيا) ، فتمكن بذلك من توحيد ممالك اسبانيا النصرانية في الشمال في الوقت الذى تنازع فيه ملوك الطوائف في الاندلس فيما بينهم ، وتوجهت الصراعات بينهم وجهه محليه داخلية أكثر من التركيز على الاخطار الاسبانية المجاورة .

وحينما توفى شانجه الثالث سنة ٤٢٦ هـ / ١٠٣٥ م ، أخضع ابنه فردلند مملكة ليون فتوحدت قشتاله وليون في مملكة واحدة ، وكان شانجه قبيل وفاته قد قسم المملكة بين أولاده الاربعة (فردلند ، غرسيه ، ردمير ، غنصالو) ، وكان فردلند حاكم قشتاله هو أكبرهم ، ونتج عن هذا الوضع قيام الحرب بين الاخوة وتسبب في اغتيال غنصالو ومقتل غرسيه الذى خلفه ابنه شانجه ملكا على نباره .

وقام فردلند ملك قشتاله وليون بمهاجمة الاراضي الاندلسية فاستولى على بعض المناطق في شمال غرب الاندلس سنة ٤٤٩ هـ / ١٠٥٧ م ، وحاصر أهلها المسلمين ودافعوا عنها دفاعا مجيدا ، الا ان فردلند زاد

قواته واستمر يحاصرها حتى اقتحمها فقتل عددا من سكانها وأسر عددا آخر ونكل بهم ٠

وفي سنة ٤٥٤ هـ / ١٠٦٢ م عاث فردلند في الانحاء الشمالية لمملكة طليطلة وبعض مناطق اشبيليه ، وسقطت بيده مدينة قلنبيره (قلمرية) سنة ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤ م [١] ، لكنه توفي بنفس العام ، وكان قبل وفاته قد قسم المملكة أيضا بين أولاده (فشانجه) الكبير بقشتاله والادفونش (الفونسو السادس) في ليون وأشتوريش ، و (غرسيه) في جليقية والبرتغال ، وثارت الحرب بين الاخوة ، وانتصر شانجه على ألفونسو السادس الذى هرب الى طليطلة والتجأ الى ملكها يحيى بن اسماعيل بن ذى النون فرحب به يحيى بن اسماعيل الملقب بالمأمون غاية الترحاب وبالغ في اكرامه وأنزله دارا مجاورة لقصره وأعطاه دارا أخرى ذات حدائق ومتنزهات له ولمرافقيه [٢] ٠

لكن ألفونسو لم يكن ليحفظ هذا الجميل فقد استغل وجوده في طليطلة ليدرس أحوالها ويستعد للاستيلاء عليها فيما بعد عند عودته الى الحكم ٠

أما شانجه فانتصر على غرسية وضم اليه جليقية والبرتغال ، لكن لم يلبث ان اغتاله أحد الفرسان سنة ٤٦٥ هـ / ١٠٧٢ م فاستدعي الفونسو السادس ليتولى العرش ، فأصبح ملكا لقشتاله وليون وجليقية وأصبحت اسبانيا النصرانية موحدة تحت قبضته ، ثم قبض على أخيه غرسيه وسجنه الى ان مات بعد ١٧ عاما ٠

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٣ ، ص ٢٥٣ ٠

(٢) عبدالرحمن على الحجي : التاريخ الاندلسي ، ص ٣٣٠ ٠

حكام طليطله (بنـو ذو النــــون)

١ ـ اسماعيل بن ذي النون (الظافـر) ، ٤٢٧ ـ ٤٣٥ هـ / ١٠٣٦ ـ ١٠٤٣ م •

٢ ـ يحيي بن اسماعيل (المأمـــون) ، ٤٣٥ ـ ٤٦٧ هـ / ١٠٤٣ ـ ١٠٧٥ م •

٣ ـ يحيي بن اسماعيل بن يحيي (القادر ، ٤٦٧ ـ ٤٧٨ هـ / ١٠٧٥ ـ ١٠٨٥ م •

طليطلـه هـي الثغـر الأوسـط الاندلسـي ، وهـي مـن أكـبر دول الطوائـــف وموقعهـا استراتيجـي علـى مشـارف الاندلـس الشماليـة ، وهـي قريبـة مـن ممالك اسبانيـا النصرانيـــة ومـن المنـاطـق التـي تشملـهـا مدينـة سالـم ووادى الحجـــارة واقليـش وطلبيرة [١] •

وخـلال عـهـد الطوائـف كانـت هـذه المنطقـة لبنـي ذي النـون ، وهـــــم ينتمـون الـى قبائـل الـهـواره مـن أصـول بربريـة ، وكـان جـدهـم الأعلـى ذى النـون بن سليمـان حاكمـا علـى حصـن اقليـش أيـام الاميـر محمـد بن عبدالرحمن •

وبـدأ أمـر ذي النـون مـن أيـام الدولـة العامريـة عندمـا استولـى اسماعيـل بـن ذي النـون علـى قلعـة كوانكـه بعـد وفـاة حاكمـها ، واستمـر يستولــــــى علـى الانحـاء المجـاورة فمـا ان قامت الفتنـة وانهـارت السلطـة المركزيــــة حتي أعلـن اسماعيـل استقلالـه بمـا فـي يـده مـن الارض فكـان مـؤسـس مملكـة بنـــي ذي النــون ، ومـد سلطانــه عندمـا تولـى حكم طليطلـه [٢] ، سنـة ٤٢٧ هـ / ١٠٣٦م وتلقـب بالظافر ، وكان اسماعيـل وافر العقـل والدهـاء كسـب تأييـد أهـل المدينـة

---

(١) محمد عبدالله عنان : دول الطوائف ، ص ٩٤

(٢) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ١٧٧ •

فكان لايقطع أمرا دون مشورتهم ، وامتدت رياسته شرقا حتى كونكة وجنجاله ، واعتمد في تدبير أمور الجماعة على كبير الجماعة بطليطلة أبي بكر الحديدي ، ولم يطل عهد اسماعيل في الملك حيث توفى سنة ٤٣٥ هـ / ١٠٤٣ م وخلفه ابنه المأمون يحيى بن اسماعيل .

وفي عهد المأمون اتسعت حدود المملكة حتى بلنسية وساد بها الامن والرخاء ، الا ان عهده كان مليئا بالحروب والخصومات بينه وبين منافسيه خاصة مع ابن هود صاحب سرقسطة والثغر الاعلى ، ومع ابن عباد صاحب اشبيليه ، ونتج عن هذه الخصومات استعانته بملك قشتاله فرديناندو الاول ضد ابن هود الذى قام بدوره بعد فترة باستعداء الصليبيين على خصمه ابن ذي النون ، فبدأت الاغارة على المدن الاسلامية ، وأرسل فرناندو جيوشه فاخترقت أراضي طليطلة شمالا حتى وادى الحجارة وقلعة النهر ، وامعنت فيها عبثا وتخريبا (١) .

وبهذه المساعي التي قام بها ابن هود وابن ذى النون استباح النصارى أراضي المملكتين الاسلاميتين ، فانهارت خطوط الدفاع الاسلامية ، وساءت أحوال المسلمين ، ورغم محاولات الصلح بينهما الا ان الصراع استمر الى ان توفي ابن هود سنة ٤٣٨ هـ / ١٠٤٦ م فتنفس ابن ذى النون الصعداء وهدأت الامور على الثغر الاعلى (٢) .

وفي عام ٤٥٧ هـ / ١٠٦٥ توفي فرناندو ملك قشتاله فثارت الحرب بين أولاده على العرش . والتجأ الفونسو الى طليطلة فعاش فيها معززا مكرما مدة تسعة شهور ، وبعد عودته الى بلاده وتوليه الحكم أخذ يدبر خطته

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٣ ، ص ٢٢٠

(٢) عنان : دول الطوائف ، ص ٩٩

للاستيلاء علي طليطله [1]

وكان المأمون بن ذى النون من أعظم ملوك الطوائف ، وأطولهم عهدا وامتدت رقعة مملكته طليطله حتى وصلت شرقا الى بلنسيه ، فازدهرت وعم الرخاء فيها ، وجمع المأمون ثروات طائلة وبنى القصور الفخمة الباذخة .

وخلف المأمون حفيده يحيى بن ذى النون الملقب بالقادر [1] ، وكان فتى " قليل الخبرة والتجارب تربى في أحجار النساء ونشأ بين الخصيان والغانيات فغلب على أمره العبيد والموالي .

وتوجه القادر الى الفونسو ملك قشتاله يطلب عونه ، وكان ان اشتط الفونسو في مطالبه ، فقامت الثورة في طليطله وفر القادر الى مدينة قونقة ، بينما استدعي أهل طليطلة المتوكل بن الافطس أمير بطليوس ليتولى أمرهم ويقي مدينتهم شر الفوضى [3] .

أما القادر فكتب الى الفونسو يذكره بسالف الود بينه وبين جده المأمون ، وما كان للمأمون من فضل في عونه واغاثته ، وطلب منه العون في محنته فاستجاب الفونسو لدعوته وسار معه الى طليطلة في سرية من الفرسان . وعندما شعر المتوكل بن الافطس بمقدم الفونسو والقادر غادر طليطلة الى حاضرته بعد ان حكمها عشرة أشهر [4] ، ودخل القادر

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٣ ، ص ٢٣٢

(٢) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ١٧٩

(٣) عنان : دول الطوائف ، ص ١٠٦ .

(٤) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ١٨٠ ـ ١٨١ .

طليطله في حماية الفونسو وجنده النصارى بعد ان تصدى له أهلها وحاولوا رده بالقوة فنكلت بهم جنود النصارى ، وكان ذلك سنة ٤٧٤ هـ / ١٠٨١ م ٠

وكان كل شيء ينذر بوقوع النكبة الكبرى ، فالفونسو كان يدبر خطته للاستيلاء على طليطله ، التي عاد يتربع على عرشها ملكها الضعيف المتخاذل الذى تعهد الى الفونسو عندما يعود الى المدينة ان يحكمها باسمه ٠

سقـوط طليطلـه

أصبح الاستيلاء على طليطله شغل الفونسو السادس ، فبدأ سنة ٤٧٠ هـ / ١٠٧٨ م يعمل من أجل تنفيذ هذا الامر ، وذلك بالاغارة على أراضي مملكة طليطله ، وأخذ يعبث فيها فسادا وتخريبا واستمر على ذلك عدة سنوات حتى انهك قواها •

ويبدو ان ايواء المدينة للفونسو أيام نفيه اليها كان نقمة على طليطله وسببا للتعجل بسقوطها ، فقد اطلع الفونسو على عورات المدينة حين اقامته فيها ، وتعرف على دروبها وخططها ، ويقال بانه استمع الى المأمون يوما وهو يتحدث مع وزرائه في كيفية الدفاع عن طليطلة (١) • واحتمال مهاجمة النصارى لها واستيلائهم عليها ، وكان الفونسو يومها يتظاهر بالنوم ، وعلم من استماعه الى الحديث ان احتلال النصارى للمدينة يتوجب منهم محاصرتها سبع سنوات وتدمير مؤنها وغلاتها •

ولعل الامر العجيب هو ان بعض ملوك الطوائف وقفوا متفرجين وكانه لايعنيهم من الامر شيئ ، فلم يقدموا للمدينة أية مساعدة ، بل ان بعضهم ذهب الى الفونسو يطلب عونه ، أو يعرض عليه الخضوع له (٢) باستثناء حاكم بطليوس عمر بن محمد بن الافطس الذى شارك في الدفاع عن المدينة ، في الوقت الذى كان فيه بقية امراء الطوائف في الاندلس لاهم لهم الا تحقيق مصالحهم واشباع رغباتهم ، فاقتسموا القاب الخلافة وتوزعوها كالناصر والمنصور والمعتمد والمظفر وغيرها من الالقاب ،

---

(١) بروفنسال : الاسلام فى المغرب والاندلس ، ص ١٢٧ •

(٢) بروفنسال : الاسلام في المغرب والاندلس ، ص ١٤٥ •

وفي ذلك يقول ابن رشيق القيرواني :

مما يزهدني في أرض أندلس ٠٠٠٠٠٠٠ أسماء معتمد فيها ومعتضد

ألقاب مملكة في غير موضعها ٠٠٠٠٠٠٠ كالهر يحكي انتفاخا صورة الاسد

وكانت امكانية الدفاع عن المدينة أو القضاء على محاولة الفونسو السادس وانقاذ المدينة ، فقد حاصر المدينة وضيق عليها الخناق ، وارتكب بها وبأهلها من الافعال والاعمال مالايطاق ٠

واشترك في حصارها جنود ومتطوعون من مناطق متعددة في اسبانيا وخارجها من قشتاله وليون وأرغون ومتطوعون من فرنسا وغيرها ٠

ثم دخل الفونسو طليطلة بعد ان أعطى أهلها الامان بضمان حرياتهم واحترام شعائرهم الدينية وحرمة مساجدهم وحقوقهم ، ثم نقض هذا العهد فحول مسجد المدينة الى كنيسة بقوة السلاح وحطم المحراب ليقيم مكانه الهيكل ٠ واحتل المناطق المجاورة للمدينة بعد ان وجه اليها غارات عسكرية فتم استخلاصها وضمها لمملكته ٠

وكان لسقوط طليطله بيد ألفونسو السادس سنة ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م بعد ان حاصرها سبع سنين ، فتوهم بعد هذه النكبه التي حلت بالاندلس ان جميع أمراء الطوائف أصبحوا رهن اشارته وطوع بنانه ، وانه سيقضي عليهم الواحد تلو الآخر ، وزادت مكانته علوا بين ملوك النصرانية وتلقب بالامبراطور ذى الملتين الاسلامية والنصرانية ، وبدأ يسعى لاخذ مابأيدى المسلمين ، فتجبر وعتى في تعامله دون رعاية لخلق أو مبدأ انساني وخرج على حدود الاخلاق وتجنى على حرمة الجيرة ، وخان الجميل الذى قدمته له طليطلة يوم كان طريدا فآوته وفتحت حضنها عطفا وشفقة ، وحمته

كرما وأصالة من أهلها ٠

غير ان الامور لم تجر على هواه ، فقد عصفت رياح الاخوة فى المغرب فطاردت جيشه وزلزلت عرشه حتى ظهر الحق وولى هاربا أمام جموع المسلمين ٠

حكام بطليوس الطوائف (بنو الافطس)

١ ـ أبومحمد عبدالله بن محمد (المنصور) ٤١٣ ـ ٤٣٧ هـ / ١٠٢٢ ـ ١٠٤٥ م .

٢ ـ سيف الدولة أبوبكر محمد عبدالله (المظفر)

٤٣٧ ـ ٤٦٠ هـ / ١٠٤٥ ـ ١٠٦٧ م .

٣ ـ يحيى بن محمد (المنصور) ٤٦٠ ـ ٤٦٤ هـ / ١٠٦٧ ـ ١٠٧١ م .

٤ ـ أبومحمد عمر بن محمد (المتوكل على الله)

٤٦٤ ـ ٤٨٧ هـ / ١٠٧١ ـ ١٠٩٤ م .

بطليوس مملكة تجاور اشبيلية من الشمال ، وتضم أراضي البرتغال وعاصمتها بطليوس وتضم مجموعة مدن منها ماردة ويابرة وأشبونة (لشبونة) وشنتره وغيرها . وحكمها بنو الافطس خلال عهد الطوائف بالاندلس وهم ينتمون الى جدهم أبومحمد عبدالله بن محمد مسلمه المعروف بابن الافطس وهو من أهل المعرفة والدهاء والسياسة .

وظهر امر ابن الافطس عندما كان يحكم هذه المنطقة سابور الفارسي أحد عبيد الحكم المستنصر بالله منذ انهيار الخلافة ، وبعد هلاكه استأثر بالامر ابن مسلمه ، وبعد وفاته أعقبه ابنه محمد بن عبدالله المظفر بن الافطس سنة ٤٣٧ هـ / ١٠٤٥ م [(١)] .

وأقام المظفر في ثغر بطليوس حكما عظيما كان يضاهي ملك بني عباد وكان محمد المظفر هذا عالما فارسا شجاعا عركته خطوب الحرب والاسر الذى عاناه ، وبعدما تولى الامر ضبط النظام والدفاع

---

(١) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ١٨٣ .

عن الثغور [1] ، ثم حدثت خصومات بينه وبين المعتضد بن عباد وتطورت الاحداث فساء التفاهم بينهما ودارت الحروب التي انهكت قوى بني الافطس ولم يلبث بنو الافطس ان تعرضوا لخطر جيرانهم النصارى من الشمال [2] .

وكانت أطراف المملكة الشمالية بعيدة ومجردة من وسائل الدفاع القوية فاتجهت أنظار فرناندو الاول ملك قشتالة اليها فاستولى على مدينتي مالقة وقشتالة واسترق سكان المدينتين وأسكن بها النصارى ، ثم تعرضت مدينة قلمرية أعظم مدن البرتغال لحصار فرناندو الاول واستمر في حصارها مدة ستة شهور حتى نفذت الاقوات ، واقتحم المدينة فأسر جنودها وسبى أهلها رجالا ونساء وعين مستشاره (سنندو) حاكما لها ومنحه لقب (الوزير) (الكونت) ، وكان ذلك سنة ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤ م .

وبعد وفاة المظفر خلفه ولده يحيى الملقب بالمنصور سنة ٤٦١ هـ / ١٠٦٨ م وما ان بدأ حكمه حتى ثار عليه أخوه عمر وكان يرى انه أحق بالملك منه [3] ، وكان حاكما لمدينة يابره ، واستمر النزاع بين الاخوين ثم توفي يحيى سنة ٤٦٤ هـ / ١٠٧٢ م فخمدت الفتنة ودخل عمر بطليوس فتولى الحكم وتلقب (المتوكل على الله) وعين ابنه العباس حاكما على يابره .

واشتهر عمر بن الافطس بعلمه وأدبه ، ونعمت مملكة بطليوس في عهده بالامن والرخاء ، وعندما حلت بمدينة طليطلة أحداث الفوضى والاستهتار

---

(١) محمد عبدالله عنان : دول الطوائف ، ص ٨٠ ـ ٨٣

(٢) ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ٢٣٨

(٣) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ١٨٤ .

استعان أهلها بعمر المتوكل واستدعوه لضبط المدينة فاستجاب لهم وغادر الى طليطله وأقام بها يدبر شؤونها حتى استقرت أوضاعها ، ثم أغاثهما عندما تعرضت لخطر ملك قشتالة • وبعد سقوط قشتاله أرسل الفونسو الى المتوكل يطلب اليه تسليم القلاع والحصون التابعة له وتأدية الجزية لكنه رفض •

الدعــوة الـى التوحـــيد

قبـل سقـوط طليطلـه ارتفعـت فـي الاندلـس دعـوة لجمـع الشمـل وتوحيـد الصفـوف بيـن المسلميـن لمواجهـة الاخطـار التـي تهـددهـم ، وكـان علـى رأس من تولـى هـذه الدعـوة القاضـي الفقيـه أبوالوليـد الباجـى (٤٠٣ ـ ٤٧٤ هـ / ١٠١٢ ـ ١٠٨١ م وعاونـه في ذلك حاكم بطليوس عمر المتوكـل بن المظفـر بن الافطـس سنـة ٤٦٠ ـ ٤٨٤ هـ / ١٠٦٩ ـ ١٠٩٣ م • فطـاف أبوالوليـد فـي مـدن الاندلـس وقواعـده الاسلاميـة سنين عـديدة ، وتكللـت دعوتـه بالخيـر والنجـاح فـي نهايـة الامـر •

لقـد ثـار أهـل طليطلـة سنـة ٤٧٢ هـ / ١٠٧٩ م ضـد حاكمهـا الضعيـف القـادر وخلعـوه ثـم استدعـوا المتوكـل صاحـب بطليوس ليتولـى حكمهـا وقبـل هـذا العـرض بعـد تردد ، وأقـام فـي المدينـة مايقارب العشـرة أشهـر ، وعندمـا علـم باستعانـة القـادر بأدفونش وتوجهـهمـا نحـو المدينـة عاد الـى بطليوس [١].

وأرسـل أدفونـش الـى المتوكـل بن الافطـس يطلب اليـه تسليـم الحصـون التـي يمتلكهـا ودفـع الجزيـة ، وتوعـده اذا هـو لـم يفعـل ، الا ان المتوكـل واجـه هـذا المواقـف بصـلابـة ورد عليـه بشجاعـة وابـاء ، وهـدده بقـوة الاسـلام التـي يستمدهـا المؤمنـون مـن ايمـانـهـم بالله تعالـى •

وبعـث المتوكـل القاضـي أبوالوليـد الباجـي الـى حواضـر الاندلـس داعيـا الـى توحيد الصفـوف ، والوقـوف في وجـه الخطـر الـذى يهـدد الوجـود الاسلامـي ويتربـص به لاخراجه مـن اسبانيا الاسلامـيـة •

---

(١) عبدالرحمن الحجي : التاريخ الاندلسـي ، ص ٣٣٦ •

دعوة أبوالوليد الباجي لتوحيد المسلمين في الاندلس

وهي حركة دعت الى لم الشمل بعد نبذ الخلاف والتنازع ، والدعوة الى الوحدة للقيام بالجهاد الاسلامي ، وصاحب هذه الدعوة هو العلامة الفقيه سليمان بن خلف المشهور بـ (أبوالوليد الباجي) ولد عام ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م ، وتوفي عام ٤٧٤ هـ / ١٠٨١ م ، وتولى مهام القضاء ، والتدريس في مجموعة من مدن الاندلس ، وفي بعض مدن المشرق أيضا ، وفوق كونه من كبار علماء المسلمين فقد كان أديبا وشاعرا جمع شعره ابنه أبوالقاسم (١) .

بدأ أبوالوليد رحلته يتجول ويطوف بين مدن الاندلس الاسلامية بعد أن عاد من رحلته الى المشرق الاسلامي والتي استمرت ثلاثة عشر عاما (٢) من عام ٤٢٦ ـ ٤٤٠ هـ / ١٠٣٥ ـ ١٠٤٨ م ، وكان قد عاد بعلم غزير ومعرفة واسعة ، فرفع صوته بين ملوك أهل الجزيرة بالاحتساب وطالبهم بالتواصل والتعاون ، فقد وجد ملوك الطوائف أحزابا متفرقة ، ومشى بينهم بالصلح ، وكانوا يجلونه في الظاهر ، ويستثقلونه في الباطن .

وكان أبوالوليد خلال تطوافه يعقد المجالس والحلقات للتعليم والدعوة الى التمسك بتعاليم الاسلام ، وتدريس أمور الدين ، بالاضافة الى الدعوة التي استهدف منها توحيد الصفوف ، وجمع شمل الامة في المغرب للقضاء على أسباب الفرقة والتنازع ، والتنبيه الى خطر الانقسام الذى

---

(١) المقرى : نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، ج٢ ، ص ٦٧

(٢) الاندلسي : تاريخ قضاة الاندلس ، ص ٩٥

أدى الى طمع الاعداء وتطلعهم الى حواضر المسلمين للاستيلاء عليهما وطرد المسلمين منهما ٠

وزاد الممالك الاسلامية في غربي الاندلس وشرقيها ، فزاد مملكة بطليوس حيث بنو الافطس وتولى مهام القضاء والتدريس فيها ، وبث دعوته بين العامه والخاصة من الناس ، ولم يقصرها على ملوك الطوائف وحدهم ، وانما كان لعموم الناس نصيب كبير في هذه الدعوة ٠

فبدأ الدعوة أول الامر تطوعا واختيارا دون ان يدفعه الى ذلك أحد ولما رأى المتوكل سوء أحوال المسلمين تبنى قضية الدعوة الى التوحيد فدعم الباجي وشد من عضده ، ثم كلفه بمتابعة هذه المسؤولية بشكل رسمي ، فكانت أشبه ماتكون بحركة جهاد بحرب أعداء الاسلام ومنعهم من تحقيق أهدافهم ضد المسلمين ، واستمرت دعوة الباجى عدة سنوات وترددت أصداء دعوته في مختلف جهات الاندلس ٠

ولم يكن الباجى هو الوحيد الذى دعا الى لم الشعث في الاندلس بل ان عددا من العلماء والحكام والمسؤولين لمسوا الخطر الذى يتهددهم وينتظر وجودهم هناك ، فالاحداث التي وقعت على الثغور ، وما قام به الادفونش الفونسو السادس من عمليات التناوش لانهاك طل يطلة واضعاف قوتها واهلاك محاصيلها من أجل اسقاطها حركت في المسلمين عاطفتهم الدينية ، وخوفهم على مجد الاسلام هناك ، فظهر من الدعاه أبوالحزم جهور بن محمد بن جهور ٤٣٥ هـ / ١٠٤٣ م وقام بمحاولات عديدة في هذا السبيل ووجه النقد لملوك الطوائف على ماوصلت اليه الحال هناك ٠

دول الطوائف

لقد ظهرت في الاندلس في الفترة التي بدأ يضعف فيها الوجود الاسلامي مجموعة من الدويلات والممالك ، التي قامت في مساحتها وقوتها ، فكان لكل منها حاكم ومجلس للشورى ، وموظفين ووزراء وكتاب واستغلت كل دولة منها عن الاخرى حتى في نزاعها مع اسبانيا المسيحية كما كانت هناك نزاعات بين هذه الدويلات في كثير من الاحيان ، وقد أدت هذه النزاعات الى انهاك قوتها مما عرضها الى أطماع أعدائها المجاورين وأهم هذه الدويلات :

١ ـ مملكة سرقسطه (الثغر الاعلى) وكان يحكمها بنو هود

٢ ـ امارة قرطبه (وسط الاندلس) ويحكمها بنو جهور ٠

٣ ـ مملكة طليطلة (الثغر الاوسط) وفيها بني ذى النون

٤ ـ مملكة بطليوس (الثغر الادنى) وفيها بنو الافطس

٥ ـ مملكة اشبيلية (غربي الاندلس) وفيها بنو عياد

٦ ـ مملكة بلنسيه (شرقي الاندلس) وحكم فيها عدة جماعات منهم العامريين وبنو ذى النون ٠

٧ ـ مملكة غرناطة (جنوبي الاندلس) وفيها بنو زيرى ٠

حكام الطوائف في سرقسطـه

أ ـ المنذر بن يحيى التجيبي (٤٠٨ ـ ٤١٤ هـ / ١٠١٧ ـ ١٠٢٣ م •

ب ـ يحيى بن المنـذر (٤١٤ ـ ٤٢٠ هـ / ١٠٢٣ ـ ١٠٢٩ م •

ـ المنذر بن يحيى معز الدولة

(٤٢٠ ـ ٤٣٠ هـ / ١٠٢٩ ـ ١٠٣٩ م •

ب ـ أبوأيوب سليمان بن محمد بن هود الجذامي (المستعين بالله أوالمستعين الاكبـر) ٤٣١ ـ ٤٣٨ هـ / ١٠٣٩ ـ ١٠٤٦ م •

ـ أبوجعفر أحمد المقتدر (٤٣٨ ـ ٤٧٤ هـ / ١٠٤٦ ـ ١٠٨١ م •

ـ أبوعامر يوسف المؤتمن (٤٧٤ ـ ٤٧٨ هـ / ١٠٨١ ـ ١٠٨٥ م •

ـ أبوجعفر أحمد المستعين بالله أوالمستعين الاصغر

(٤٧٨ ـ ٥٠٣ هـ / ١٠٨٥ ـ ١١١٠ م •

ـ أبومروان عبدالملك ـ عماد الدولة

(٥٠٣ ـ ٥٢٤ هـ / ١١١٠ ـ ١١٣٠ م •

ـ أبوجعفر أحمد سيف الدولة أو المستنصر بالله

(٥٢٤ ـ ٥٤٠ هـ / ١١٣٠ ـ ١١٤٦ م •

وهو آخـر حكـام بنـي هـود في سرقسطـه •

مملكة سرقسطه (الثغر الاعلى)

هي أقدم الدول الاندلسية المستقلة ، وأعظم ممالك الطوائف لسعة رقعتها وموقعها الممتاز ، وعرفت بولاية الثغر الاعلى ، وكانت لبعدها عن بقية ممالك الاندلس تحتاج الى جهود مضاعفة للدفاع عن نفسها وحفظ استقلالها ، وكان يحكمها بنو تجيب منذ أيام المنصور بن أبي عامر ، واستمر يحكمها يحيى التحببي حتى توفي سنة ٤٠٨ هـ / ١٠١٧ م ، وقد شهد هذا الامير الفتنة التي مرت بالاندلس ، وانهيار الخلافة الاموية ، وخلفه ابنه المنذر بن يحيى التحببي الذي يعتبر أول أمير لها في عهد الطوائف [(١)] .

وتلقب المنذر بالحاجب ذي الرياستين ، واستعان بجيرانه النصارى لتثبيت حكمه عندما تعرضت مملكته لمحاولة اعادة سلطة الامويين اليها وأصبحت علاقته بالنصارى متينة حتى انها وصلت الى حد المصاهرة وحكم حتى توفي سنة ٤١٤ هـ / ١٠٢٣ م ، فخلفه ابنه يحيى بن المنذر الذي تلقب بالمظفر وحكم حتى سنة ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩ ، وتنازل عن بعض القلاع للنصارى لعدم قدرته على حمايتها ، وخلفه ولده المنذر بن يحيى (الحاجب معز الدولة) وفي عهده انتهى حكم بني تجيب لسرقسطه عندما أقدم عبدالله بن حكيم - وهو من بني عمومته - على قتله سنة ٤٢٦ هـ / ١٠٣٥ م [(٢)] .

---

(١) محمد عبدالله عنان : دول الطوائف ، ص ٢٥٦ .

(٢) ن . م ، ص ٢٦٠ .

وفي هذه الاثناء تمكن أبوأيوب سليمان بن محمد بن هود الجذامي من انتزاع مقاليد الحكم في المدينة ، وتلقب المستعين (٤٣١ ـ ٤٣٨ هـ / ١٠٣١ ـ ١٠٤٦ م)، ولما كان بنو ذى النون أقارب لبني تجيب ، فقد هرع اسماعيل بن ذي النون صاحب طليطلة لنجدة بني تجيب ، فوقع الصدام بين بني ذى النون وبني هود ، وتمكن جيش سليمان بن هود من احتلال وادى الحجارة وهي من مدن طليطله ، واستعان الطرفان بأعدائهما من ملوك قشتاله مما كان له أسوأ العواقب على الطرفين [١].

وقسم المستعين المملكة بين أولاده قبل وفاته فتسبب ذلك في الصراع بين الاخوة ، وكان أكثرهم طموحا أبوجعفر أحمد الملقب بالمقتدر بالله ، وتمكن ان يحظى بنصيب أوفر من اخوته ، واستطاع الاستيلاء على ثغر طرطوشة من المقالبه سنة ٤٥٢ هـ / ١٠٦٠ م[٢] ، وكانت أعظم حادثة تعرض لها المسلمون في زمنه هي غزو النورمانديين لمدينة بربشتر[٣] وفتكهم بأهلها بصورة شنيعة لم يعرفها التاريخ من قبل .

وعمل كما عمل أبوه من قبل فقد قسم المملكة بين ولديه ، أبوعامر الملقب بالمؤتمن وأخيه المنذر ، وحدث بينهما صراع فاستعان كلا منهما بملوك اسبانيا المسيحية مقابل الاموال أو الحصون ، فكان لذلك أثرا سيئا ساهم في اضعاف قوة المسلمين وهو مايسعى اليه الاسبان ، فحارب الى جانب المؤتمن الذى توفي سنة ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م .

---

(١) محمد عبدالله عنان : دول الطوائف ، ص ٢٦١

(٢) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج٣ ، ص ٢٥٠.

(٣) سيأتي الحديث عنها .

وبعد سقوط طلبطلة حاول الفونسو السادس الاستيلاء على سرقسطة فحاصرها وحال بينه وبينها قدوم المرابطين الى الاندلس سنة ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦م الامر الذى دفع الفونسو الى فك الحصار عن المدينة لكي يستعد لملاقاة المرابطين .

وبعد وفاة المستعين خلفه ابنه أبومروان عبدالملك الملقب عماد الدولة سنة ٥٠٣ هـ / ١١١٠ م ، ثم خضعت سرقسطة للمرابطين بنفس العام ، ورحل عبدالملك الى حصن روطه ، ومالبثت سرقسطة ان سقطت بيد ابن ردمير ملك أرغون سنة ٥١٢ هـ / ١١١٨ م بعد تغلب الروم عليها .

أما عماد عبدالملك فخلفه ابنه أبوجعفر أحمد المستنصر بالله سنة ٥٢٤ هـ / ١١٣٠ م ، ولم يستطع الاحتفاظ بحصن روطة فسلمه الى ملك قشتاله الذى عوضه بدلا من الحصن أملاكا في تطليلة سنة ٥٢٩ هـ / ١١٣٥ م ، وبقي في حمايته الى ان قتل سنة ٥٤٠ هـ / ١١٤٦ م فكان آخر حكام بني هود .

مأساة بربـــر شتريـــه

بربرشتريه هي احدى مدن الثغر الاعلى ، وتقع على بعد ٦٠ كم شمال شرق سرقسطة وتعتبر من القواعد المنيعة في شرق الاندلس (١) ، وحكمها بنو هود أيام الطوائف ، وأصبحت من أعمال أبى عامر يوسف (حسام الدولة) الذى شارك أخاه المقتدر بالله فى الحكم ٠

وحلت بهذه المدينة نكبة اهتزت لها الاندلس بأسرها ، وكانت فى أبشع وأشد ماحدث في الاندلس من أعمال عدوانية لما ارتكب فيها من وحشية وجرائم مذهلة ٠

وتمثلت هذه الحادثة بمهاجمة النورمانديين للمدينة ، فقد احتشدت قواتهم في ولاية نورماندى ، وانضمت اليهم جموع من الفرنسيين ، واتجهوا نحو الاندلس فحاصروا مدينة وشقه احدى مدن سرقسطة ، ولما فشلوا في احتلالها توجهوا الى بربشتر فحاصروها سنة ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤ م واستمر الحصار أربعين يوما ، وجرت معارك عديدة ، وصمدت المدينة الحصينة فى وجه المعتدين (٢)

ولما قلت الاقوات واشتد الضيق على السكان ، استطاع النورمانديون دخول المدينة بعد ان تعرضوا لمجرى الماء فقطعوه عن السكان ، واشتد العطش فاضطر المحاصرون الى التسليم ، واستباح النورمانديون المدينة الباسلة بكل مافيها ومن فيها وارتكبوا أبشع الجرائم قتلا وهتكا للاعراض (٣) ٠

---

(١) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج١ ، ص ٣٧٠

(٢) شكيب أرسلان : الحلل السندسية ، ج٣ ، ص ١٨٦

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٣ ، ص ٢٥٣

ومن غريب ماحدث في هذه الواقعة ان النورمانديين المتوحشين اختاروا من أبكار جواري المسلمين ، وأهل الحسن منهن خمسة آلاف جارية وأهدوهن الى صاحب القسطنطينية (١) .

ومن النوادر التي حدثت في هذه المدينة عند سقوطها بيد النورمانديين لما فسدت القناه وانقطعت المياه ان المرأة كانت تقف على السور وتنادي من يقرب منها ان يعطيها جرعة ماء لنفسها أو لولدها فيقول لها : اعطني مامعك ، فتعطيه مامعها من كسوة وحلي وغيرها (٢) .

وكان لهذه النكبة أثر كبير في أنحاء الاندلس ، فقام الناس يتنادون الى المتطوعون الى الثغر جهادا في سبيل الله ، وأشرقت النفوس بمعاني الاسلام وعلت الهمم وقامت الامة الاسلامية ملبية نداء الاسلام الخالد ، ومستمدة من كتاب الله منهجها ، ومن ايمانها بالله قوتها وحاصروا مدينة بربشتر ، فنجحوا في اقتحامها ، حيث جرت معركة شديدة تمزق فيها شمل المعتدين واسترد المسلمون المدينة .

---

(١) الحميرى : الروض المعطار (صفة جزيرة الاندلس) ، ص ٤٠ ، ياقوت : معجم البلدان ، ج١ ، ص ٣٧٠ .

(٢) شكيب أرسلان : الحلل السندسية ، ج٢ ، ص ١٨٨ .

حكـام بلنسيـه

---

١ ـ مظفـر ومبارك العامريين ٤٠٠ ـ ٤٠٨ هـ / ١٠٠٩ ـ ١٠١٧ م

٢ ـ لبيب العامرى ٤٠٨ ـ ٤١١ هـ / ١٠١٧ ـ ١٠٢١م •

٣ ـ عبدالعزيز المنصور ٤١١ ـ ٤٥٢ هـ / ١٠٢١ ـ ١٠٦١ م •

٤ ـ عبدالملك بن عبدالعزيز ٤٥٢ ـ ٤٥٧ هـ / ١٠٦١ ـ ١٠٦٥ م •

٥ ـ أبوبكر بن عبدالعزيز (ابن درويش)

٤٥٧ ـ ٤٧٨ هـ / ١٠٦٥ ـ ١٠٨٥ م •

٦ ـ عثمان بن أبي بكر ٤٧٨ ـ / ١٠٨٥ م •

٧ ـ القادر بن ذى النون ٤٧٨ ـ ٤٨٥ هـ / ١٠٨٥ ـ ١٠٩٢ م •

٨ ـ القاضي ابن جحاف ٤٨٥ ـ ٤٨٧ هـ / ١٠٩٢ ـ ١٠٩٤م •

٩ ـ الكمبيادور والقشتاليون ٤٨٧ ـ ٤٩٥ هـ / ١٠٩٤ ـ ١١٠٢م •

مملكة بلنسيه

تقع بلنسيه فى شرقي الاندلس . وحكمها الصقالبه مدة من الزمن وكانت دول الطوائف في شرق الاندلس يغلب عليها العنصر الصقلبي ، فكان للصقالبه دور كبير في الفتنه التي حدثت بقرطبه ، واستطاع محمد بن عبدالجبار المهدى ان ينتزع الخلافة لنفسه من هشام المؤيد سنة ٣٩٩ هـ / ١٠٠٩ م ، وكان مجاهد العامرى على بلنسيه ، وهو من فتيان العامريين ، فثار عليه عبدان هما مبارك ومظفر فترك بلنسيه الى دانية ، وتربع العبدان (الاميران) على حكم المدينة (١) .

وقام الفتيان بتحصين المدينة وصيانتها ، ثم توفي مظفر فقام مبارك بعده بمحاربة المنذر بن يحيى التحيبي صاحب سرقسطة فى معاونته لصاحب طرطوشة لبيب العامرى ، واستمر مبارك يحكم بلنسيه حتى توفى سنة ٤٠٨ هـ / ١٠١٧ م (٢) . وخلفه فى الحكم لبيب العامرى ، وشاركه مجاهد العامرى ، ثم وقع الخلاف بينهما ففر لبيب الى طرطوشه ، وانفرد مجاهد العامرى بحكم بلنسيه مع حكمه لدانيه .

ولم يمض غير وقت صغير حتى خرج عليه فتيان العامريين وعقدوا البيعة لحفيد مولاهم عبدالعزيز بن عبدالرحمن المنصور سنة ٤١١ هـ / ١٠٢١ م واستقر عبدالعزيز فى حكم بلنسيه ، وانضوى تحت لوائه مجاهد العامرى ولكنه عاد واختلف معه ، وبدأ يتربص الفرص لمهاجمته ، لكن عبدالعزيز

---

(١) محمد عبدالله عنان : دول الطوائف ، ص ٢٠٧ .

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٣ ، ص ٣٠٢ .

جمع أهل بيته ، وأولاهم صادق محبته ، وأغدق عليهم الاموال ليشدوا أزره ، وعندما أعلن ابن عباد صاحب اشبيليه ظهور هشام المؤيد ، ودعا لخلافته سنة ٤٢٦ هـ / ١٠٣٥ م كان عبدالعزيز في مقدمة الامراء الذين بايعوه واعترفوا بخلافته [١] .

وتمكن عبدالعزيز من ضم المريه الى مملكته فشعر مجاهد العامرى بالخطر الجديد على سلطانه ، وقام بمهاجمة المناطق التابعة لعبدالعزيز واحتل بعض المناطق من شاطبه الى الورقه ، فخرج عبدالعزيز لملاقاته وتمكن من الانتصار عليه سنة ٤٣٣ هـ / ١٠٤١ م ودخل شاطبه [٢] .

وكان عبدالعزيز قد استعان بملوك اسبانيا النصرانية في حربه مع العامريين لعلاقاته الطيبة معها ، واستمر يحكم بلنسيه الى سنة ٤٥٢ هـ / ١٠٦١ م فخلفه ولده عبدالملك ولقب نظام الدولة و (المظفر) . وتولى تدبير الامور في زمنه وزير أبيه أبوبكر محمد بن عبدالعزيز (ابن درويش) ، الذى نشر الامن وأحسن التدبير .

وكان عبدالملك زوجا لابنة المأمون بن ذى النون صاحب طليطله الا ان المأمون على مايبدو كان يضمر لصهره نيات مبيته لانه كان يسيىء معاملة ابنه ويبالغ في اهانتها ، وفي حملة المأمون ضد ابن عباد طلب الى صهره أن يعاونه بجنده فرفض عبدالملك بناء على نصيحة وزيره وخوفا من أخطار المدن المجاورة فبدأ المأمون يخطط لاحتلال بلنسية .

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٣ ، ص ١٦٤ ـ ١٦٥ .

(٢) ن ٠ م : ج٣ ، ص ٣٠٢ .

وأعد المأمون قواته واستعان بالجند القشتاليين ودهم المدينة على حين غره فأسر صهره عبدالملك ونفاه الى قلعة اقليش [1] ، وعهد الى ابن روبش بتدبير شؤون بلنسيه ، الذى غدر بأميره وعاون المأمون وبعد وفاة المأمون أعلن ابن روبش استقلاله بحكم بلنسيه ، فأصلح أسوارها ، ودانت له المدينة بالطاعة ٠

وعندما غزا بنو هود سرقسطة تخوف منهم أبوبكر بن روبش فاستعان بالفونسو السادس ، وتعهد له بأداء الجزية ، لكن المؤتمن خاطب ملك قشتاله ودفع مائة ألف دينار ليساعده في فتحها ، فزحف عليها فرناندو ، فخرج اليه أبوبكر وأقنعه بالعودة عنها فانصرف وفشلت محاولة المؤتمن باحتلالها [2] ٠

عندها فكر أبوبكر بالتعاون مع المؤتمن ففاوضه وقدم اليه ابنته عروسا لابنه أحمد المستعين ، لكن أبوبكر لم يعش طويلا اذ توفى سنة ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م [3] ٠ وخلفه في حكم بلنسيه ابنه أبوعمرو عثمان بن أبي بكر ، وفي هذه الاثناء كانت الاندلس تعيش أحداثا جساما ، فكان ألفونسو السادس قد استولى على طليطلة فوعد صاحبها القادر بن ذي النون ان يمكنه من استرداد بلنسيه التي خرجت من طاعته ٠

وكان الفونسو يهدف من ذلك ان يغدو جميع شرقي **الاندلس** واقعا تحت سيادته ، فخرج القادر وصحبه قاصدا بلنسيه ومعه مجموعة من جند النصاري تحت امرة البرهانيس ، وقبل دخوله بلنسيه بعث رسالة

---

(١) ن ٠ م : ج٣ ، ص ٢٦٦ ٠

(٢) محمد عبدالله عنان : دول الطوائف ، ص ٢١٦

(٣) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٣ ، ص ٣٠٤

الى أهلها ، يتودد ويقدم لهم أطيب الوعود ، وتشاوروا أهل المدينة واتفقوا ان لايُعَرِّضوها لهجوم القشتاليين ، فأعلنوا خلع عثمان بن أبي بكر ، ودخلها القادر ، فتسلم حكمها واستعان في ذلك بالجند النصارى ففرض على المدينة طغيانا شاملا ، وثقلت وطأة القشتاليين عليها وفرضوا على الناس ضرائب خاصة ، واضطرب حبل الامن في المدينة ، وأصبح القادر أداة للبرهانيس الذى صارت له السيادة الحقيقية ، فغادر كثير من الاعيان بلنسيه فرارا من هذا الطغيان المر .

وكان المرابطون قد دخلوا الاندلس بقيادة يوسف بن تاشفين سنة ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ م ، فغادر البرهانيس وجنده بلنسيه ليخوضوا المعركة الى جانب الفونسو ، وبعد انتصار المسلمين في الزلاقه تنفس أهل بلنسيه الصعداء ،وانتعشت نفوسهم لتحطيم قوى ملك قشتاله ، وبادر القادر يلتمس صداقة يوسف بن تاشفين ومحالفته ، الا ان الامير كان مشغولا ، فسرى الاضطراب في بلنسيه ، وأخذ حكام الحصون التابعة لها بالعصيان وفقدت المدينة الزعامة القوية والادارة الحازمة وبدأ يهددها المنذر بن هود صاحب لورقه (لارده) وطرطوشة والذى شعر بأن الفرصة مواتية لاحتلالها كي يوحد أراضيه ، وكانت بلنسيه تقسم مملكته الى قسمين ، فجهز جيشه وسار باتجاه المدينة يحاصرها فاستنجد القادر بملك قشتالة الفونسو السادس ، كما استنجد بالمستعين ابن هود صاحب سرقسطة ، فهرع لنجدته وكان في جيشه صديقه وحليفه الفارس القشتالي الكمبيادور (القنبيطور) (١) .

---

(١) هو فارس قشتالى اسمه الاصلى رودريجو أو دودزيق (دوى ديان دى بيبار) وأطلق عليه المسلمون الذين كان يخدم بينهم ويحارب معهم لقب (السيد) وكلمة الكمبيادور *El Campeador* معناها المحارب الشجاع وأطلقت عليه لشجاعته وجرأته وحبه للقتال ، وارتبط اسمه بمغامراته في بلنسيه وكان قد أبعده الفونسو ملك قشتاله سنة ١٠٨١ م فتمكن ان يكون جيشا من المرتزقة جاب به انحاء الولايات الشرقية لاسبانيا طلبا للغنيمة والسلب .

ثم تغير الموقف واتفق الكمبيادور سرا مع أعداء المستعين ، فعاد المستعين وترك المدينة . بينما أخذ الكمبيادور يعد نفسه لامور عظيمة .

حصار بلنسيه

بدأ الكمبيادور نشاطة في شرق اسبانيا وتمكن من اخضاع مناطق متعدده لسيادته ، وأجبرها على ان تقدم له الاموال ، ثم أرغم صاحب بلنسيه القادر على ان يطلب حمايته ، وقدم له مقابل ذلك أموالا كثيرة .

الا ان هذا العدو الشرير لم يكتف بجمع الاموال ، وانما توجه لاحتلال المناطق المحيطة بمدينة بلنسيه ، ولم يلبث ان دخلها وأخضعها لسيادته ، وشارك في الاحداث التي مرت بها الاندلس خلال هذه الفترة بشكل ملفت للنظر ودفع هذا الفونسو ملك قشتاله ان يصدر عفوه عن الكمبيادور والسماح له بالعوده الى قشتاله متى شاء .

لقد كان هذا السيد سفاكا للدماء ، قام بأعمال وحشية فغنم وسلب ووقف لمساندة بعض أمراء المسلمين لاشعال الفتنه بينهم ، وكما فعل سيده ، الذى أنكر جميل طليطلة المدينة التي آوته وانقلب عليها فحاصرها ، فعل هذا السيد أيضا مع من آواه وفتح له بلاده وانقلب على المستعين بن هود صاحب سرقسطه وتخلى عنه في أحلك الظروف .

وأمام هذا الظلم والمعاملة القاسية من السيد الكمبيادور سرت في بلنسية رغبة ملحة في الخلاص ، وتزعم هذا الاتجاه قاضي بلنسيه أبوأحمد جعفر بن عبدالله المعفرى ففاوض قائد المرابطين داؤود بن عائشة فبعث اليه سرية من جند المرابطين وتمكن من القبض على القادر الذى تعاون مع الكمبيادور ، ووجده متخفيا في حمام القصر يحمل صندوقا من الحلي والجواهر فكانت نهايته .

واختير القاضي ابن جحاف ليتولى زمام السلطة سنة ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م فأخذ ينظم الامور ويستعد لحماية المدينة والدفاع عنها [١] .

وطلب السيد الى ابن جحاف ان يترك له بلنسيه بعد خروج المرابطين منها ، ثم حاصرها ، وشد عليها الحصار ، وقطع الاقوات عنها ، حتى لايطول ثباتها ونصب المجانيق ونقب الاسوار ، وعدم الناس الطعام حتى أكلوا الفئران والكلاب والجياف [٢] ، وعامل السيد أهل المدينة أسوأ معاملة ، فحلت بالمدينة أنواع المحن واستسلمت سنة ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م [٣] ضمن شروط تضمنت ابقاء ابن جحاف قاضيا وحاكما للمدينة ، وأن يأمن على نفسه وأهله ، ويأمن السكان في أنفسهم وأموالهم ٠

وقد نكل الطاغية بأهل المدينة وحول مسجدها الجامع الى كنيسة ولم يستطع أحد الوقوف في وجهه ، وعندما حاول ابن جحاف رد الاذى والحفاظ على هوية المدينة الاسلامية قام بقتله حرقا بالنار ، وصور ابن خفاجه حال المدينة في هذه الابيات الشعرية :

عاثت بساحتك الظبا يادار ٠٠٠٠٠٠ ومحا محاسنك البلى والنار

فاذا تردد في جنابك ناظر ٠٠٠٠٠٠ طال اعتبار فيك واستعبار

أرض تقاذفت الخطوب بأهلها ٠٠٠٠٠٠ وتمحصت بخرابها الاقدار

كتبت يد الحدثان في عرصاتها ٠٠٠٠٠٠ لاانت أنت ولاالديار ديار

---

(١) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج٣ ، ص ٥٠٣

(٢) ن ٠ م : ج٣ ، ص ٣٠٥

(٣) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج١ ، ص ٤٩٠ ٠

ولاشك بأن هذه الاحداث أثارت حفيظة أهل الاندلس ، وعندما وصلت الاخبار الى المغرب استعد لذلك يوسف بن تاشفين فسير جيشا نحو الاندلس تولى قيادته ابن أخيه محمد بن تاشفين الذى توجه الى بلنسيه وضرب حولها حصارا عام ٤٩١ هـ / ١٠٩٧ م ، وتوالت المعارك بين المسلمين والاسبان الى ان تمكن المرابطون من دخول بلنسيه واسترجاعها سنة ٤٩٥ هـ / ١١٠٢ م[1] ، فعاد اليها الهدوء والاستقرار بعد فترة طويلة من الاضطهاد والظلم وفساد الاحوال .

---

(١) ياقوت : معجم البلدان ، ج١ ، ص ٤٩٠ .

حكـــام اشبيليــــه

١ ـ القاضـــي محمـد بن اسماعيـل بن عبـــاد

٤١٤ ـ ٤٣٣ هـ / ١٠٢٣ ـ ١٠٤٢ م •

٢ ـ عبـاد بـن محمـد المعتضـــــــد

٤٣٣ ـ ٤٦١ هـ / ١٠٤٢ ـ ١٠٦٩ م •

٤ ـ محمـــد بـن عبـاد المعتمــــد

٤٦١ ـ ٤٨٤ هـ / ١٠٦٩ ـ ١٠٩١ م •

مملكة اشبيليه

تقع هذه المملكة في غرب الاندلس ، وكان لها شأن كبير في النشاط العلمي ، وحكمها بنو عباد ، وضموا اليها قرطبه في وقت من الاوقات بدأت اشبيلية منذ انهيار الدولة العامرية ، وفي الوقت الذى امتلات فيه قرطبه عاصمة الخلافة بالفتن والاضطرابات •

وظهر نجم بني عباد في حكم اشبيليه بعد ذهاب الخلافة الاموية على يد القاضي الكبير أبوالوليد اسماعيل بن محمد بن عباد اللخمي الذى تولى الشرطة لهشام المؤيد ، كما تولى خطة الامامه والخطابة بالجامع الاعظم [(١)] • فقد استطاع اسماعيل بحزمه ودهائه ان يستغل ظروف الفتنة على أكمل وجه ، وتمكن ان يجمع اليه مقاليد الرياسة والحكم معتمدا على عراقة بيته ، وعلو مكانته وثرائه الواسع ، فهو من أسرة تنتمي الى بني لخم من ولد النعمان بن المنذر بن ماء السماء [(٢)] ، وكان واسع اليد ينفق من ماله وغلاته ، واشتهر بعلمه وعقله وبعد نظره [(٣)] •

انتقل بنوعباد الى اشبيليه فنموا وتصدروا للوجاهه والنباهه في دولة الحكم المستنصر بالله ودولة ابنه هشام وحاجبه المنصور بن أبي عامر الذى قدم اسماعيل بن عباد على خطة القضاء باشبيليه [(٤)] •

---

(١) عبدالرحمن الحجي : التاريخ الاسلامي ، ص ٣٨٧

(٢) الفتح بن خاقان : مطمح الانفس ، ومسرح التأنس ، ص ١٧٠ •

(٣) ابن الآبار : الحلة السيراء ، ج٢ ، ص ٣٥ - ٣٦ •

(٤) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج٣ ، ص ١٩٤ ، الاندلسي : تاريخ قضاة الاندلس ، ص ٩٤ •

وقد نظر اسماعيل في صلاح البلاد وساسها بحكمه ورصانة لكنه ولي الامر سنة ٤١٤ هـ / ١٠٢٤ م لابـ ه محمد بن اسماعيل بن عباد الذى أسس مملكة بني عباد في اشبيليه فكانت من أقوى ممالك الطوائف ، وحكمها هذا القاضي بقوة وحزم ، واستطاع ان ينفرد بحكمها ، وأجبر الخليفة المستعلي ان يعترف بحكم المدينة ، فنظم أمور الدولة معتمدا على تأييد زعماء البيوتات العربية ومعاونيهم وتأييد الشعب والتفافه حواله ، وكان يعمل بهدوء على التخلص من منافسيه ، وجمع اليه الرجال والسلاح .

وكانت أهم أعمال محمد بن اسماعيل هو اعلانه لظهور هشام المؤيد واقامته خليفه باشبيلية ، وكان هشام قد اختفى منذ قبض عليه سليمان المستعين في قرطبه سنة ٤١٣ هـ / ١٠١٢ م ، ووقع الصدام بين بني عباد والبربر ، وتمكن البربر من اختراق أراضي اشبيليه فهزموا بني عباد وقتلوا ابن أميرهم اسماعيل بن محمد ، ولما توفي بن اسماعيل سنة ٤٣٣ هـ / ١٠٤٢م تولى الامر ابنه أبوعمرو عباد بن اسماعيل وتلقب فخر الدولة ثم المعتضد .

وبذل المعتضد جهودا كبيرة في ضم الامارات غربي الاندلس لاشبيليه وحدثت حروب بينه وبين ابن الافطس سنة ٤٢٢ هـ / ١٠٥٠ م فعاث في أراضي ابن الاقسطس واستولى على بعض حصونه وخرب كثيرا من القرى التابعة له وفتك بجنده ، وآلت اليه امارة ولبه وجزيرة شلطيش (١) ، بعد أن تخلى عنهما أبوزيد البكرى ولجأ الى قرطبه ، وتمكن من القضاء على سائر امارات الغرب الصغيرة ، وبسط سلطانه عليها حتى ضمت مملكته المناطق الواقعة بين نهر الوادي الكبير حتى المحيط الاطلسي ، ولكنه لم يكتف بذلك ، بل راح يتوسع شرق الوادى الكبير وضم اليه الامارات البربرية الصغيرة القائمة هناك سنة ٤٤٥ هـ / ١٠٥٣ م من

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٣ ، ص ٢٠٤ .

من أجل تأمين خطه الدفاعي في تلك المنطقة وليسهل عليه التوسع شمالا وشرقا ولم قصة مروعه انتهت بقتله لولده اسماعيل ، وكل من كان يقف الى جانبه عندما حاول الوثوب على أبيه ليتولى الحكم .

وكانت أعمال المعتضد سببا في الفتنة ، فقد ذاق ملوك الطوائف وبال أمرهم وتفرق كلمتهم ، وعدم مقدرتهم على ادراك الخطر الذى يحيق بهم وهم يتنازعون فيما بينهم ، وكان الاولى بالمعتضد ان يصرف جهوده وقوته ضد الاخطار الخارجية التي كانت تهدد المسلمين في الاندلس [1] ، خصوصا ملك قشتاله الذى خضع له المعتمد بن عباد فيما بعد وذهب بنفسه الى معسكره يطلب الصلح .

وتوفي المعتضد سنة ٤٦١ هـ / ١٠٦٩ م فخلفه ابنه أبوالقاسم محمد بن عباد الملقب (المعتمد على الله) ، وكان حسن السيرة اشتهر بكونه من كبار شعراء الاندلس وذكر بأنه كان فاضلا شجاعا جوادا عفيفا [2] ، سار على سياسة سلفه لتوسيع مملكته وشهدت أيامه نهاية بني جهور فضم قرطبه الى اشبيليه .

وكان عهده عهد الحسم في تاريخ دول الطوائف وفي تاريخ الاندلس عامه وأول عمل قام به المعتمد هو التدخل في حوادث قرطبه حينما هددها المأمون بن ذى النون بقواته ، فبعث عبدالملك بن جهور يستنجد بالمعتمد الذى وجه اليه الامدادات وانتهى الامر بالاستيلاء على قرطبه والقضاء على دولة بني جهور وضم قرطبه الى مملكة اشبيليه سنة ٤٦٢ هـ / ١٠٧٠ م .

ثم توجه المعتمد الى النصارى يعتمد عليهم في خصوماته مع جيرانه من المسلمين وعقد حلفا مع الفونسو السادس يقضي بتعاونهما

---

(١) المقرى : نفح الطيب ، ج٤ ، ص ٣٥٦ .

(٢) ابن الآبار : الحلة السيراء ، ج٢ ، ص ٣٤ ، الفتح بن خاقان : مطمح الانفس ومسرح التأنس ، ص ١٧٠ .

فتوسع المعتمد بن عباد وامتدت مملكته وكثرت موارده الا انه لم يستطع ان ينجو من مضايقات الفونسو السادس أو من الالتزامات التي فرضها على سائر ملوك الطوائف خاصة تأدية الجزية ، ولم يستطع ان يمضي في حكم مملكته آمنا الا بتوثيق أواصر الموده بينه وبين ألفونسو ومحالفته .

وأدرك المعتمد فداحة الاخطار التي تردى فيها بمصاحبه الفونسو واستعدائه على اخوانه من أمراء الطوائف وبدأت تظهر معالم المصير المروع الذي ينتظر ملوك الطوائف والممالك الاسلامية في الاندلس .

وكان استيلاء الفونسو السادس على طليطلة سنة ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م حادثا هاما بالنسبة للمعتمد وبعض أمراء الطوائف ، فقد أيقظهم مما كانوا عليه من الفرقة والتنازع ، وأدرك المعتمد فداحة الاخطار التي تنتظر الممالك الاسلامية .

وظهرت في هذه الآونه فكرة لها جذورها ترددت بين المسلمين وهي الاستعانة بالمرابطين الذين أقاموا دولة مجاهدة في المغرب يترأسها يوسف ابن تاشفين ، ورغم ان الكثيرين كانوا يتخوفون من قدوم المرابطين الا ان المعتمد رأى في قدومهم مايحفظ وجود المسلمين ويمنع عنهم الغائلة فقال قولته المشهورة : (رعي الجمال خير من رعي الخنازير)(١) وهو يشير بذلك الى انه يرضى ان يكون أسير ابن تاشفين ويرعى جماله خير له من ان يصبح ممزقا بين أيدى الاعداء يرعى خنازير فردلند في قشتاله .

وكان المسلمون قد عانوا من صلف المسيحيين وتجهمهم خاصة

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٤ ، ص ١٣٢ .

ملك قشتاله الفونسو السادس الذى طلب الى المعتمد دفع الاموال وقبول الجزية وزاد في تغطرسه ان طلب منه السماح لزوجته الحامل ان تنزل في مدينة الزهراء وتلد في المسجد الجامع بقرطبه ، وكان هذا بتدبير من وزير الفونسو وهو ابن شاليب اليهودى (١) .

وسار الفونسو باتجاه اشبيليه يحرق في طريقه ويقتل ويسلب ويدمر ، ووقف بجيشه محاصرا اشبيليه ثم أرسل الى المعتمد رسالة يقول فيها " كثر بطول مقامي في مجلسي الذبان ، واشتد علي الحر ، فالقني من قصرك بمروحة أروح بها على نفسي وأطرد الذبان عني " فوقع له ابن عباد رسالة يقول فيها " سأنظر لك في مراوح من الجلود اللمطيّة في أيدي الجيوش المرابطة ، تروح منك لاعليك ان شاء الله (٢) " وكان يلوح بهذه الرسالة باستعانته بالمرابطين حكام المغرب الذين هدد بقوتهم عدوهم الفونسو السادس .

عندها دعا المعتمد ملوك الطوائف ، واتفقوا على دعوة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين الذى استجاب لنداء الاسلام طالبا الجهاد وانقاذ المسلمين ورفع رايتهم فكانت معركة الزلاقة سنة ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ م التي هزم فيها الفونسو .

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٤ ، ص ١٣٠ .

(٢) ن . م : ج٤ ، ص ١٣١ .

معركة الزلاقــه (٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ م)

بعد ان رأى المسلمون ماحل بهم في الاندلس ، وتشاور المعتمد بن عباد مع امراء المسلمين وملوكهم ، أرسل وفدا يمثل المسلمين في الاندلس برئاسة أبوبكر بن زيدون ، ومعه ثلاثة من القضاه الافاضل الى يوسف بن تاشفين يطلبون النجدة والمدد ٠

وبعد ان استشار ابن تاشفين الفقهاء والاعيان قرر تلبية نداء الجهاد وبدأ المسير بالجيوش المرابطية ، فعبروا مضيق جبل طارق من سبته الى الجزيرة الخضراء وهو معهم ، فدعا الله قائلا : " اللهم ان كنت تعلم ان في جوازنا هذا خيرة للمسلمين ، فسهل علينا جواز هذا البحر ، وان كان غير ذلك فصعبه حتى لاأجوزه [(١)] " ٠

واستجاب الله دعاءه ، وتحركت العساكر الى اشبيليه ، وهناك بلغه موت ابنه أبي بكر ، لكنه آثر الاستمرار في الجهاد ، وسرت في الناس روح جديدة ذكرت المسلمين بأيامهم الاولى ، وسارع امراء الطوئف للاشتراك بقواتهم ، وأعدوا ماأمكن من البذل والتضحية ٠

ولما اقترب يوسف بن تاشفين والجيش المرابطي من اشبيليه خرج المعتمد وجماعته من الفرسان لتلقيه وتعانقا ، ودعوا الله تعالى ان يجعل جهادهما خالصا لوجهه ٠

استقر ابن تاشفين أياما في اشبيليه ، ثم توجه الى بطليوس فتلقاهم أميرها المتوكل [(٢)] ، وانتظمت القوات الاندلسية وتجمعت في المقدمة بقيادة

---

(١) عنان : دول الطوائف ، ص ٣١٩

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٤ ، ص ١٣٦ ٠

المعتمد بن عباد ، في حين جعلت الجيوش المرابطية في المؤخرة بقيادة ابن تاشفين .

وسار هذا الموكب الاسلامي الى منطقة الزلاقة(١) ، وعندما سمع الفونسو السادس أنباء هذا الجيش ترك حصار سرقسطه ، وبدأ يستعد فكاتب ملك أرغون وأمراء ماوراء البرت يطلب النجدة ، فتجمعت اليه جيوش من جليقيه وأشتوريش ونباره بالاضافة الى جيوش قشتاله ، ثم لحقت بهم جيوش من الفرسان المتطوعين من جنوب فرنسا وايطاليا وجعل على مقدمة جيشه قائده البرهانيس .

وجرت مراسلات بين الطرفين ، فأرسل ابن تاشفين الى الفونسو يعرض عليه الدخول في الاسلام أو الجزية أو الحرب (٢) فاختار الحرب وأراد خديعة المسلمين فكتب اليهم يخبرهم ان تكون المعركة يوم الاثنين ، فقد أشار على المسلمين ان الجمعة عيد لهم والاحد عيد النصارى ، وليكن الملتقى يوم الاثنين بعد ان يمر كلا منهما في عيده ، الا ان ابن عباد وابن تاشفين أدركا هذه الخديعة واستعدا لهجوم العدو الذى تم في اليوم التالي وكان يوم الجمعة ثاني عشر رجب سنة ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ م (٣) .

كان ابن تاشفين قد جلب معه الى الاندلس الجمال ، وكانت ذات نفع لهم في الحرب ، ودارت معركة حامية ظهرت فيها براعة الجيش الاسلامي والقائدين ابن عباد وابن تاشفين ، واستمرت المعركة يوما واحدا تمكن

---

(١) ابن الاثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ١٥٣

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ١٣٦

(٣) ابن الاثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ١٥٣ ـ ١٥٤ .

فيهـا المسلمون بفضل ايمانهم وبراعتهم العسكرية ان يهزموا الفونســو وجيوشه فهرب بعدد من الفرسان يطلب النجاه ودارت عليهم دائرة الســوء

ففي صبيحة يوم الجمعة زحف النصارى وابتدأ القتال واشتبك الجيشان في معركة حامية لم يثبت فيها المسلمين سوى المعتمد بن عباد وفرسان اشبيليه فقاتلوا النصارى بشده ، وهاجم الفونسو مقدمة المرابطين وكان يقودها داؤد ابن عائشة فردها عن مواقعها ، وفي هذه الاثناء دفع يوسف بن تاشفين بقوات البربر التي يقودها قائده البارع سير بن ابي بكر اللمتوني ونفذ بقواته الى قلب النصارى واسترد المسلمون ثباتهم ، واضطرمت معركة حامية رجحت بها كفة المسلمين .

ثم تقدم يوسف بن تاشفين بقواته الاحتياطية فتجاوز النصارى المهاجمين وقصد الى معسكر النصارى فهاجمه بقوة ، ووثب الى مؤخرة القشتاليين وأثخن فيهم وطبوله تضرب حول جيشه يشق دويها الفضاء ثم احترم النار في محله القشتاليين ، ولما علم الفونسو ماحل بمعسكره ارتد لانقاذه فاصطدم بالمرابطين ولم يتمكن من وصول معسكره الا وقد خسر خسائر فادحة وتمزقت أشلاء جيشه ، واستؤنفت المعركة ويوسف بن تاشفين على فرسه يصول ويجول ويحث جنده على الثبات ، وطعن أحد المسلمين الفونسو بخنجره طعنه نافذه ، ولما أحس هو وصحبه بأن نهايتهم ستكون في هذه المعركة انتظروا الى الليل وانسحبوا تحت جنح الظلام بعدد من الفرسان (١) .

---

(١) عنان : دول الطوائف ، ص ٣١٣ ـ ٣١٤ .

وفي اليوم التالي طارد المسلمون بقية الاعداء وجمعوا الاسلاب والغنائم وسرت انباء هذا النصر الى القواعد الاندلسية ، وكتب ابن تاشفين بذلك الى المغرب الذى استبشر وفرح فرحا عظيما بهذا النصر فكانت الزلاقة يوما مشهودا من ايام المسلمين ، وعاد يوسف بن تاشفين الى المغرب بعد ان ترك حامية مغربية هناك (١) .

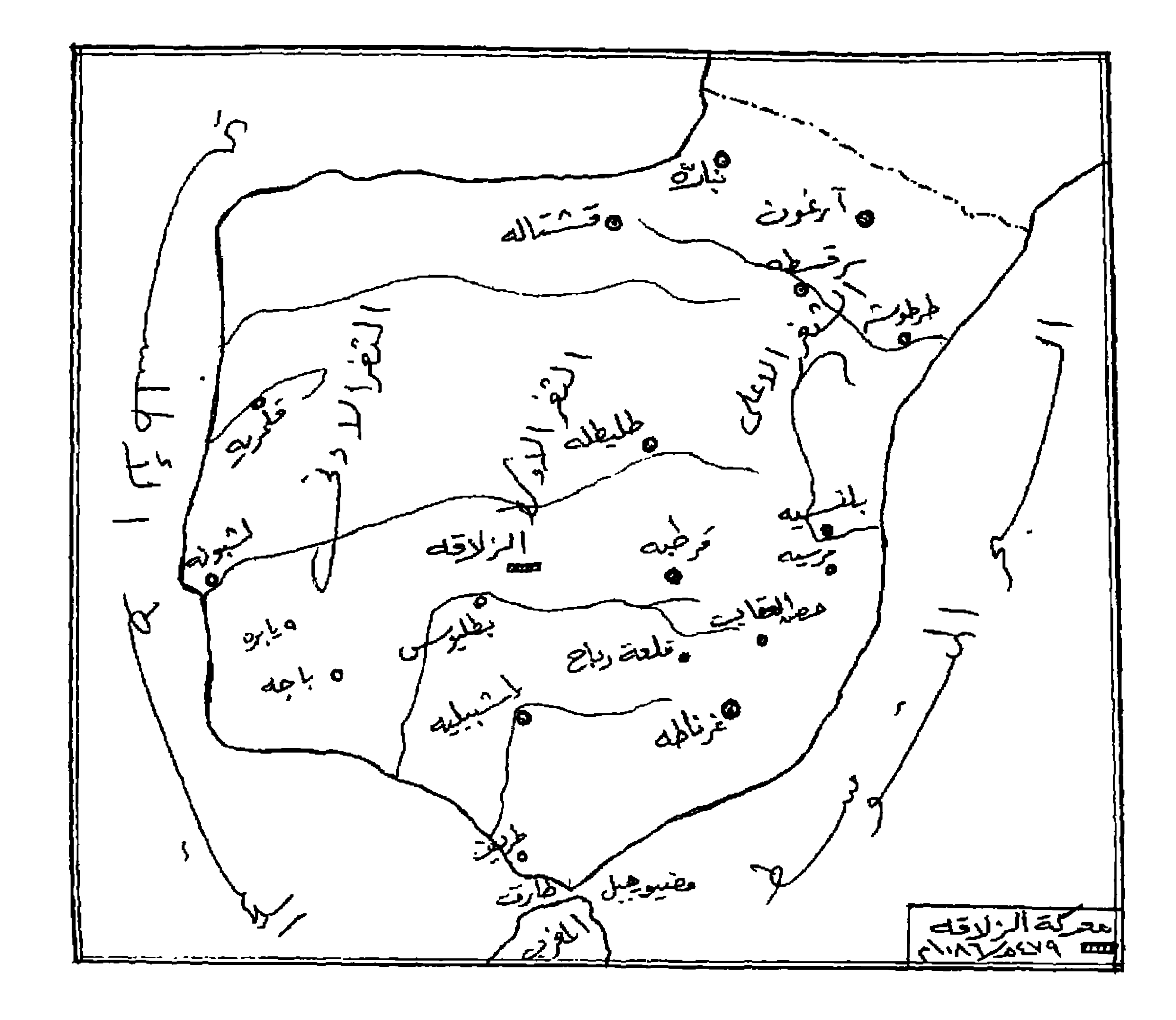
وكانت هذه المعركة نصرا عظيما بعيد الاثر جعل المسلمين ينظرون لاخوانهم المرابطين بعين الهيبة والاحترام ، كما رفع هذا النصر المؤزر من الروح المعنوية عند أهل الاندلس (٢) .

وأصبحت بداية لطريق التعاون المستمر بين المسلمين في الاندلس والمغرب وبدأ النصارى في اسبانيا يحسبون حساب القوة المرابطية الجديدة ، حتى ان المعتمد بن عباد هدد الفونسو بقوة المرابطين في الرسالة التي بعث بها اليه وأصبح يوم الزلاقة يوما خالدا أو سيبقى •

---

(١) ابن الاثير : الكامل ، ج١٠ ، ص ١٥٤

(٢) محمد عبدالهادى شعيرة : المرابطون ، ص ١٢١ ومابعدها •


معركة الزلاقة
٤٧٩هـ/١٠٨٦م
نبارة
آرغون
قشتالة
سرقسطة
طرطوشة
الثغر الأعلى
الثغر الأوسط
الثغر الأدنى
قلمرية
طليطلة
لشبونة
الزلاقة
قرطبة
بلنسية
مرسية
بطليوس
قلعة رباح
يابرة
باجة
اشبيلية
غرناطة
مضيق جبل طارق
المغرب

الفصل الثاني

دولة عهد المرابطين

٤٤٨ ـ ٥٤٠ هـ / ١٠٥٦ ـ ١١٤٧ م

- تأسيس دولة المرابطين في المغرب •
- المرابطون وجهاد الوثنيين في بلاد السودان جنوبا •
- الوضع في الاندلس قبل دخول المرابطين للجهاد فيها •
- الاستعداد لعبور الاندلس •
- التوجه نحو الزلاقه •
- نتائج الزلاقه •
- جهاد المرابطين في الاندلس •
- أسباب ضعف ونهاية دولة المرابطين •

أمـــراء الدولـة المرابطيـة

١ - يحي بن عمــر٤٤٧هـ/ ١٠٥٥ م ٠

٢ - أبو بكر عمر ٤٤٧هـ/ ٤٦٣هـ/ ١٠٥٥ - ١٠٧١م ٠

٣ - يوســف بن تاشفيـــن ٤٦٣هـ - ٥٠٠هـ/ ١٠٧١ - ١١٠٧م ٠

٤ - علي بن يوسف بن تاشفين ٥٠٠هـ - ٥٣٣هـ/ ١١٠٧ - ١١٣٩م ٠

٥ - تاشفين بن علي ٥٣٣ - ٥٣٩هـ/ ١١٣٩ - ١١٤٥م ٠

٦ - ابراهيم بن تاشفين ٥٣٩ - ٥٤١هـ/ ١١٤٥ - ١١٤٧م ٠

٧ - اسحق بن علي ٥٤١هـ/ ١١٤٧م ٠

دولة المرابطين

٤٤٨ ـ ٥٤١هـ/ ١٠٥٦ ـ ١١٤٧م

يكتنف الغموض نشأة دولة المرابطين ، كما أن المصادر التي تناولت تاريخها نادرة بوجه عام ومع ذلك فقد كشف العديد من الباحثين(١) عن مآثر حميدة لهذه الدولة المجاهدة ٠

بدأ تاريخ المرابطين في جناح المغرب العربي ، في الصحراء الغربية، صحراء شنقيط أو ما يسمى اليوم بموريتانيا ، في هذه الصحراء الشاسعة كانت تعيش قبائل صنهاجة اللثام البربرية ، ومن اكثرها قبيلة لمتونة في شمال الصحراء ، وجنوبها قبيلة مسوفة ثم جدالة ٠ وكانت هذه القبائل تتلثم اى تضع اللثام وتتقنع به ٠ مما أطلق عليها صنهاجة اللثام (٢) ٠ انتشر الاسلام بين هذه القبائل عن طريق السرايا العسكرية التي أرسلها حكام المغرب الأوائل الى هذه المنطقة (٣) ، وكذلك عن طريق التجار المسلمين ، وفي أوائل القرن الخامس الهجرى (١١م) تمّ توحيد الصفوف على اسس دينية بفضل الامير : يحيى بن ابراهيم الجدالي والفقيه عبدالله بن ياسين الجزولي (٤) ٠

التقى في بداية الحركة يحيى الجدالي بالقيروان بأحد اقطاب المالكية

---

(١) من اشهر الباحثين : حسين مؤنس، محمود مكي، حسن احمد محمود، احمد مختار العبادي، سعد زغلول ٠

(٢) المقرى : نفح الطيب ، ج٤/ ١٩٣ ٠

(٣) البكرى : المغرب في وصف افريقيا والمغرب ص ١٦٦ ٠

(٤) نسبة الى قبيلة جزولة ، احدى قبائل صنهاجة ٠

الفقيه (أبو عمران الفاسني الغفوجي) ، بحيث وضعا خطة لاقامة دولة صحراوية على اسس دينية تستطيع القضاء على الفوضى السياسية والدينية التي كان المغرب يتخبط بها ، ولهذا توجه أمير الملثمين على تلميذ له في بلاد السوس وهو الفقيه " وجاج بن زولو اللمطي الذي كان يقيم في رباط في مدينة نفيس يسمى دار المرابطين ، ومن هذا الرباط، أرسل وجاج صحبة هذا الأمير الفقيه عبدالله بن ياسين الجزولي ليفقه هؤلاء الصحراويين في امور دينهم ، حيث تمكن ان يخلق بين الملثمين قوة دينية تقوم : " علي الايمان الراسخ واقامة شعائر الاسلام وفق ما جاء بالسنة ، والتمسك بمذهب مالك بن انس (١) •

وكان لا بد من تسمية هؤلاء الملثمين تسمية تتفق مع الأهداف الدينية السامية فسماهم بتلك التسمية الخالدة المرابطون •

وللرباط : لزوم الثغر الاقامة على الجهاد على الحدود مع الأعداد ، أخذاً من قوله تعالى •• " يا أيها الذين أمنوا ، اصبروا وصابروا ورابطوا ، واتقوا الله لعلكم تفلحون " (٢) • ومن هنا فالمقام في الثغور رباطا (٣) • وقد فهم الأتباع المعاني النبيلة لكلمة الرباط حتى صارت بمثابة وسام عسكري يمنحه كل سلطان مرابطي لاتباعه المجاهدين •

ويبدو من الرايات التاريخية (٤) أن عبدالله بن ياسين بدأ دعوته في

---

(١) احمد مختار العبادى : في تاريخ المغرب والاندلس ص ٢٩٢ •

(٢) ابن منظور : لسان العرب ، قصل ربط •

(٣) ابن خلدون : تاريخ ٦/١٨٣•

(٤) السلاوى الناصرى : كتاب الاستقصى لأخبار المغرب الأقصى ٢/٧ ـ ٨ •

الصحراء بدعوة من أمير قبيلة جدالة يحيى بن ابراهيم الجوابي ، فذهب الى ديارهم التي تلي ديار قبيلة المتونة جنوبا وتجاور ساحل البحر حيث أقام عبدالله فاجتمع اليه ألف رجل سماهم المرابطين.

وبعد وفاة الزعيم الجدالي يحى بن ابراهيم أرادت قبيلة جدالة أن تعرض زعيما آخر على قبائل صنهاجة فرفض الداعية الفقيه عبدالله بن ياسين أن يخضع لهذه النزعة القبيلة الضيّقة ، مما جعله يتعرض لاهانة الجداليين فرأى بثاقب بصره مكانة المتونة ومواقعها ومكانتها ، وشجاعة وشدة أهلها ، فرأى أن ينقل القيادة من جدالة الى المتونة (١) ، فقلد الأمير للمتوني أبا زكريا يحى بن عمر قيادة صنهاجة ، مما أدى الى خروج قبيلة جدالة عن طاعتهم فكانت قبيلة المتونة شدائد كثيرة في هذا السبيل ، كان من نتائجها أن أعلن عبدالله بن ياسين أن المرابطين هم اللمتونيون لشدة صبرهم ، وحسن بلائهم (٢) . فصار اسمها مرادفا لكلمة المرابطين (٣) ، فهي التي تزعمت مهمة الغزو والجهاد في بلاد المغرب والاندلس وبهذه الرسالة الدينية السابقة كان خروج المرابطين من الصحراء بقيادة زعيمهم الديني عبدالله بن ياسين ، وقائدهم الحربي أبي بكر بن عمر اللمتوني الذى خلف أخاه الشهيد بن عمر في زعامة المرابطين (٤٥١هـ/ ١٠٥٩م) واستطاع مؤسس الدولة المرابطة أن يقود المرابطين من نصر الى آخر وبذلك قادهم لأهل المغرب والقبائل البربرية وكانت التعاليم

---

(١) البكرى : المغرب في وصف افريقيا والمغرب ، ص (١٦٥ ـ ١٦٦) .

(٢) الحلل الموشيه ـ ص ١٥٢ .

(٣) البكرى : المغرب في وصف افريقيا ص ١٦

الدينية تشير جنبا الى جنب مع انظم الدولة البسيطة • وكان خروجهم من الصحراء وفق خطة مرسومة تقوم على القضاء على أهل الضلالة والزيغ ، كما كان للدولة المرابطة سياسة اصلاحية ، تقوم عليه عدم السماح بتعدد المذاهب الدينية التي انتشرت في المغرب ، والتي تجعل البلاد عرضة للفتن والخلافات المذهبية ، وكذلك حرص المرابطون على المذهب الواحد وهو المذهب المالكي الذى قامت عليه دولتهم ، فتمسكوا به واتخذوه أساسا في كل ما يرجعون اليه من أمور دينية ودنيويسة•ولا شك أن هذه السياسة قد حفظت لهذه الثغور الاسلامية سلامتها ووحدتها الروحية ، مما جعلها درعا حاميا للاسلام في أقصى الغرب (١) •

المرابطون والمغرب :

توجه المرابطون بقيادة زعيمهم الديني عبدالله بن ياسين والحربي أبو بكر عمر اللمتوني نحو بلاد السوس واستولوا على قاعدتها تادوادنست بعد ان قضوا على الوثنيين واليهود ، فأعادوا تلك البلاد الى مذهب أهل السنة والجماعة (٢)•

ثم اتجه المرابطون الى بلاد الجوز ، وأستولوا على عاصمتها أغمات التي كانت مدينة متحضرة ، كبيرة الأهمية لقربها من الصحراء مما جعل المرابطون يختارونها عاصمة مؤقتة لهم •

ثم تحرك المرابطون نحو التكتلات المارقة : برغواطة وغمارة

---

(١) أحمد العبادى : في تاريخ المغرب والاندلس ص ٣١٥ •

(٢) ابن زرع : وطب القرطاس ، ٢/ ١١ ـ ١٤ •

أما الاولى فقد قاد الحملة اليها عبدالله بن ياسين وأبو بكر بن عمر اللمتوني وأتجه نحو الثانية (عمارة) يوسف بن تاشفين .

ويبدو أن حماس واندفاع عبدالله بن ياسين نحو القتال مع البرغواطين جعله يقع شهيدا بعد معركة عنيفة بالقرب من مدينة الرباط الحالية عام ٤٥١هـ/ ١٠٥٩م حيث دفن على ربوة مطل على وادي كريفك(١).

أما الحملة التي قام بها يوسف بن تاشقين على بلاد غمارة فقد اتخذت نفس الهدف والاتجاه . وحاولت أن تتحاشى الاصطدام بالقوات الزناتية ، فدخل ناس صلحا سنة ٤٥٠هـ/ فترك فيها ضاحية صغيرة ثم تقدم شمالا نحو بلاد غمارة ففتح جبالها وبلادها من الريف الى طنجة واستعان في مهاجمتها بحصون وتلاع أسسها في مواجهتها ، مما ادى الى فتح هذه البلاد وتطهيرها من الفساد .

وبناء على المعطيات السابقة نجد أن المرابطين قد نجحوا الى حد كبير في تحقيق رسالتهم بحيث اصبحت تلك البلاد في القرنين السادس والسابع (عهد المرابطين ثم الموحدين) من أشد المناطق تدينا بعد ان كانت موطنا لاصحاب العقائد الضعيفة(٢) .

---

(١) ابن غزارى : البيان المقرب . الجزء الخاص بالمرابطين .

(٢) احمدمختار العبادى : في تاريخ المغرب والاندلس. ص ٣١٩.

بناء عاصمة جديدة مرّاكش (١) :

توجه الآمير أبو بكر بن عمر اللمتوني الى العاصمة أغمات بعد فتحه البلاد المغرب الأقصى ، وكانت المدينة في الواقع عبارة عن مدينتين متقابلتين على سفح جبل اطلس ، وبينهما خلاف مستمر ، وعندما توالت الوفود والجيوش ازدحمت مدينة اغمات فضج أهلها بالشكوى فقال لهم الامير أبو بكر " عيّنوا لي موضعا نبني منه مدينة ان شاء الله " فأشاروا عليه باديء الامر بموقع على نهر تانسفيت ، فلم يعجبه المكان خوفا من تعرض المدينة للفيضان ، ثم اشاروا عليه بمكان مراكش الحالي ، وقالوا له " قد نظرنا لك أيها الآمير موضعا صحراء ، رحب الساحة ، يليق بمقصدك ، يكون وادى نفيس جنانها ، وبلاد وكالة فدانها ، وزمام جبل درف (أطلس) بيد أميرها " .

ركب الأمير أبو بكر في جيوش حتى بلغ سهيل مراكش وكان ذلك سنة ٤٦٢هـ/ ١٠٧٠م فأفتتح الأمير عملية الانشاء والتعمير ببناء قصر الحجر أو دار الحجر ، ثم تبعه الناس في بناء دورهم (٢).

---

(١) مراكش اسم بربري قديم قد يكون مشتقا من أوركش يعني ابن كوش. وكوش معناها بالبربرية الآسود وسميت بهذا الاسم لانه كان يستوطنها عبد اسود مخيف الطريق. أسوأ عبدالواحد المراكشي : المعجب في تلخيص اخبار المغرب ص ١٠٠ ويرى ابن خلكان ان معناها أمش مسرعا في لغة الصاعدة لان موضعها كان مأمون للصرصور .

(٢) الحلل الموشية ص ٥ و ٦ وابن عداري البيان المغرب ، القسم الخاص بالمرابطين .

أما ما ينسبه البعض(١) من أن بناء المدينة كان سنة ٤٥٤هـ/ ١٠٦١م الى يوسف بن تاشقين • فلم يبدأ اسم يوسف بن تاشقين في الظهور الّا بعد أن قلّده ابن عمه الأمير أبو بكر عمر نيابة حكم المغرب في سنة ٤٦٢٠هـ • وأنه لم يشتغل بحكم هذه البلاد ويعلن نفسه أميرا للمسلمين الا في سنة ٤٦٦هـ • ولم ينقش اسمه على السكة الا سنة ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م أى منذ وفاة الأمير أبي بكر الحاكم الشرعي للبلاد(٢)•

المرابطون وجهاد الوثنيين في بلاد السودان جنوبا :

امتد جهاد المرابطين الى الوثنيين في بلاد السودان جنوبا ،وكان لها من النتائج ما كان لجهادهم في الشمال وكان يحكم بلاد السودان العربي في ذلك الوقت مملكة غانــا التي تعتبر اقدم دولة في غرب افريقيا حيث يرجع تاريخ نشأتها الى القرن الثالث الميلادى، وكانت تسمى بامبراطورية بانور ثم اطلق عليها اسم غانا، وكان ملوك هذه الدولة وعامة شعبها يدينون بالوثنية ، الاّ أنه كانت توجد بينهم أقلية مسلمة ، لها مساجدها وتتمتع بحرية تامة في مزاولة شعائرها الدينية(٣)•

---

(١) ابن أبي زرع : كتاب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب• جـ٢ ، ص٢٩ ـ ٤٠ ،
السلاوى: الاستقصى لاخبار دول المغرب الاقصى جـ ٢ ، ص ٢٢ ـ ٢٨•
ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون •

(٢) الحلل المرشية ـ ص ١٤ ـ ٢٠ •
احمد العبادى : في تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٣٢٤•

(٣) حسن ابراهيم حسن : انتشار الاسلام والدين ـ فيما يلي الصحراء الكبرى شرق القارة•

وعندما ظهرت دولة المرابطين كثرت المنازعات بينهما ، وحاولت كل منهما أن يعتدى على أرض الأخرى. وتغير الوضع السياسي في أواخر القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى)، وبعد أن وطد الأمير أبو بكر عمر اللمتوني نفوذ المرابطين في المغرب. وبنى مدينة مراكش، لتكون قاعدة لملكهم (سنة ٤٦٢هـ/ ١٠٧٠م) ترك الآمير لابن عمه يوسف بن تاشفين ، وأتجه عبر الصحراء جنوبا للجهاد في الجهة الثانية ضد مملكة غانا الوثنية ، وفي سبيل هذا الهدف باع نفسه لله ، فغزا مملكة غانا ، مما أدى الى ضعفها وتلاشى أمرها ، وأضمحل ملك أهل غانة (١)، ثم أسلم أهلها وحسن اسلامهم . وهكذا ، فان انتشار الاسلام بين أهلها ، ثم قيام مملكة مالي الاسلامية كان ثمرة من ثمرات جهاد هذا الأمير وجنوده من المرابطين(٢). وبقي يجاهد ثلاث أعوام حتى استشهد سنة ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م ، فآل الحكم لابن عمه وأبو يعقوب يوسف بن تاشفين.

يوسف بن تاشفين :

جمع هذا الرجل بين جمال الطلعة والجسم . وبين المواهب العقلية، فكان يتمتع بأوفر قسط من الذكاء والرأى الثابت والشجاعة وبعد النظر . وهي صفات الزعامة ، وكانت شهامته وشغفه بالحرب يقود ذلك بفطنته وفروسيته، واذا اضفنا لما تقدم جودة ولاؤه واحتقاره لمظاهر الترف في الملبس والمسكن كل ذلك أكسبه محبة وتقديرا في نفوس أبناء شعبه(٣).

---

(١) الحلل الموشية ، ص٧.

(٢) ابن ابي زرع - روض القرطاس ، ج٢ ، ص ٣٥.

(٣) يوسف اشباخ- تاريخ الأندلس في عهد المرابطين ص٦٥ ،٦٦. راجع روض القرطاس، ص٨٧، ابن خلدون تاريخ ٦/١٨٤ الحلل الموشية ص١٢.

على الرغم من حياته الطويلة التي بلغت المئة عام. (٤٠٠ ـ ٥٠٠هـ).

وفي عهده أمتد سلطان المرابطين من حدود غيانة خلال الصحراء . وخلال موريتانيا حتى البحر المتوسط ، ويحدها من الشرق ولاية قرطاجة التي كانت تحت خلفاء مصر الفاطميين ، كما استولى على طنجة بمساعدة أمير اشبيلية (ابن عباد).

لقد استطاع يوسف بن تاشفين أن يحّول حلم عبدالله بن ياسين الى حقيقة فتحررت قبائل صنهاجة ، وبلاد المغرب من البدع والخرافات، وأخذوا ينهلون من منهل الاسلام الصافي تحت راية دولة تمتد حدودها من السودان جنوبا ، وتسود فيها الطمأنينة والسكينة بفضل السياسة الحكيمة التي انتهجها ابن تاشفين(١). وتمكن ابن تاشفين من القضاء على محاولتي تمرد ضد سلطته ، في الجنوب عام ٤٦٤هـ/ ١٠٧٢م واخرى قام ابراهيم بن أبي بكر في ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م مطالبا بملك أبيه ، كما أحبط مؤامرة ثالثة قامت ضده في مدينة فاس(٢).

وقد حظي الجيش برعاية يوسف بن تاشفين لسعة دولته ، فأهتم بانشاء جيش قوى يحمي ديار الدولة ، ويقارع الاعداء فأكثر افراد جيشه من الروم ، الترك والرماة ، وقام بشراء نحو ألفين من العبيد السودان، ومائتين وأربعين فارسا من الاعلاج ، من الاندلس ، وأدخل الجميع الجيش (٣). وبنى معسكرات خاصة لتدريبهم كما أنشأ عدة مدن

---

(١) ابن عذارى - البيان المغرب - ج٤ ص ٢٢ ـ ٣٠.

(٢) ابن الاثير - الكامل ١٠/ ١٧٨ ، ١٧٩.

(٣) ابن عذارى - البيان المغرب ج٤ ، ص ٢٣ .

كمراكش لتكون معسكرا يحشد فيه الجند للتصدى لهم ، كما بنيت في تلمسان قلعة حصينة تحرس الزناتية وتقف لهم بالمرصاد، وكانت كل قلعة تشحن بالأدوات والسلاح ، والمقاتلة حتى تكون مستعدة لمواجهة أى طارئ يهدد امن الدولة(١)٠

وأهتم يوسف بن تاشفين بالأسطول ، فانشأ اسطولا فخما، أثبت جدارته في حصار سبته(٢) ، وأصبح سيد البحر المتوسط في عهد ابنه علي بن يوسف بن تاشفين (٣)٠

ولم يغفل ابن تاشفين عن العمارة ، فقد أقام عدة منشآت أهمها - حصن قصر الحجر برجة مراكش (٤) ٠ وأهتم كثيرا ببناء المساجد ، وكان يعاقب أهل أى زقاق لم يجد فيه مسجدا ، فقد أسس المساجد في جوائر مزغنة (٥) وندروقة (٦) ، وتاكرارت (٧) ، وقام بتشييد جامع مراكش (٨) وأمر بعمل منبر للمسجد الجامع بالجزائر وكان آية في الزخرفة والجمال (٩) ٠ وزاد في مسجد سبتة (١٠)٠ ولعل ذلك عائد لما غرسه

---

(١) سلامة محمد احمد في - دولة المرابطين ، ص ٥٢٠
(٢) ابن بسام ج٢،ص ٦٦٣/٦٦٤وابن خلكان- وفيات الاعيان ص٧/١١٣/١١٤٠
(٣) سلامة محمد احمد في - دولة المرابطين ص ٥٢٠
(٤) مؤلف مجهول - الحلل الموشية ص ٢٥٠
(٥) مدينة بحرية بين افريقيا والمغرب٠ ياقوت - معجم البلدان٠
(٦) تقع شمال غرب تلمسان ٠
(٧) قلعة بينها وبين تلمسان مسيرة يوم٠ الحميرى٠ الروض المعطار ، ص ١٢٩٠
(٨) ابن أبي زرع ص ١٤١ ، ١٤٢ ٠
(٩) مانويل موريفو - الفن الاسلامي في اسبانيا ص ٣٣٧٠
(١٠) ابن غذارى - البيان المغرب ص ٤/١٤٤ ٠

فيه عبدالله بن ياسين من حب للاسلام ولأهمية ومكانة المسجد في الاسلام • وقد التزم يوسف بن تاشفين بأحكام الشرع في السياسة الاقتصادية ، فلم يفرض ضريبة غير شرعية طوال حياته (١) وانتصر على الزكاة والاعشار وجزية أهل الذمة ، والاخماس في غنائم المشاركين (٢) ، كما قام بتشجيع التجارة •

بدل ابن تاشفين عام ٤٧٣/ ١٠٨٠ السكة في البلاد وكتب عليها اسمه (٣) • وانشأ دارا للسكة في مدينة مراكش (٤)•

أما علاقة ابن تاشفين مع الرعية ، فقد اتخذ مختلف الوسائل من أجل كسبها ، فكان يوزع خمس الغنائم على الفقهاء والعلماء في كافة انحاء المغرب ، ورد أحكام البلاد الى القضاة ، كما كان يقوم بتفقيد أحوال الرعية في كل سنة ، وعمد على توزيع الأراضي الخصبة على أتباعه ، وولى رجاله الأعمال وأتخذ من أقربائه ولاة على الأحصار المفتوحة (٥)•

وأنشأ ابن تاشفين الدواوين ، واتخذ الاعلام المدبجة بالآيات القرآنية ، وأحاط نفسه بطبقة من الحشم والاتباع ، ونظم مقابلاته واستقبالاته عن طريق الحجاب (٦) ، وما لبث ان اتخذ لنفسه ألقابا

---

(١) ابن أبي دينار - المؤنس في اخبار افريقيا ص ١٠٧•

(٢) ابن ابي زرع - روض القرطاس ، ج٤ ص ١٣٧ •

(٣) المصدر السابق والصفحة •

(٤) أحمد مختار العبادى - في تاريخ المغرب والاندلس ص ٣٢٨ •

(٥) حسن محمود - قيام دولة المرابطين ٢٢٩ •

(٦) العبادى - في تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٣٢٨ ، ٣٢٩ •

سلطانية " أمير المسلمين ، ناصر الدين " وذلك من خلال مرسوم صدر عام ٤٦٦هـ/ ١٠٧٣م وزع في انحاء البلاد للخطبة بهذا الاسم (١)٠

وقد دعا ابن تاشفين للخليفة العباسي الذى أرسل بدوره تقليدا ليوسف بن تاشفين بحكم البلاد التي تحت حكمه٠

وهكذا تمكن يوسف بن تاشفين من اقامة صرح دولة قوية للمرابطين ، ذات بلاط فخم ، لها مؤسسات عديدة ضمن مؤسسة دينية وسياسية قوية ، يحميها جيش قوى مستعد دائما للاعداء في وقت كان عرب الأندلس يعانون من آلام التفكك السياسي والاجتماعي في ظل ملوك الطوائف ٠

الوضع في الاندلس قبل دخول المرابطين للجهاد في الآندلس :

في الوقت الذى كانت دولة المرابطين قد حققت الوحدة السياسية والدينية والاجتماعية لدولة كبيرة تشمل دول المغرب العربي بما فيه موريتانيا وتطل على الاندلس ، كانت وحدة الأندلس قد تمزقت الى دويلات صغيرة صقلبية وعربية مما أدى الى انهيار قوة الاسلام العسكرية في تلك البلاد ، الأمر الذى شجع الدول النصرانية وبخاصة قشتالة التهام هذه الدويلات واخضاعها الواحدة تلو الاخرى في نفس الوقت الذى استغرق ملك الطوائف على الترف واللهو يدرؤون ملوك النصرانية بدفع الجزيات والاتاوات لهم ، الى أن تنبهوا بسقوط طليطلة

---

(١) ابن عذارى – البيان المغرب ، ص ٢٧٤ ، ٢٨ وابن خلكان وفيات الاعيان ج ٧ ، ص ١٢٤ ، ١٢٥ ٠

عام ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م (١) على يد الفونسو السادس ملك قشتالة .

لقد كان سقوط طليطلة نذيرا بما يترصد المسلمين في الأندلس من أخطار ، فارتج الاندلس لهذه الحادثة رجة عنيفة ، وشعر الأندلسيون أن بلادهم كلها في طريق الضياع ، فقام الشعراء والفقهاء وأخذوا ينادون للتغلب على تلك الظروف العصيبة بالاتحاد والتعاون في مواجهة العدو المشترك ، ولكن ما حدث كان نقيض ذلك ، فقد بادر ملوك الطوائف الى استرضاء الفونسو السادس ، يدفع الجزية له وارسال الهدايا المختلفة تقربا اليه ، وليت الأمر كذلك ، فقد تأخر المعتمد بن عباد أمير اشبيلية بإرسال الأتاواة ، مما اغضب الفونسو، الذي طلب منه تسليم بعض حصونه الى عماله زيادة على الاتاوة وذلك عقابا له ، ثم امعن في الاهانة والتحقير وطلب ان يسمح لزوجته بدخول جامع قرطبة ، وأرسل سفارة على رأسها ابن شاليب اليهودي. فرفض المعتمد كل ما تقدم به السفير فأغلظ اليهودي في القول، فغضب المعتمد ، وضرب اليهودي بمحبرة في رأسه ثم أمر به فصلب (٢) ولما علم الفونسو ما فعله ابن عباد بسفيره ، اقسم على غزو اشبيلية ومحاصرته في مقره ، وجرد لذلك جيشين . جعل على الاول احد قواد على أن يسير الى باجة من غرب الاندلس ثم يغير على التخوم التي ان

(١) ابن بسام - الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، القسم الرابع، ج١ ص ١٢٧ .
ابن الاثير - الكامل، ج٨، ص ١٣٨ .

(٢) الحميري - الروض المعطار ، ص٨٤ . المقري- نفخ الطيب ، ج٦، ص٩٠ . وهناك رواية اخرى تشير رفض اليهودي اخذ الاتاوة الا ذهبا فضلا عن بعض السفن التي تقوم البلاد بصناعتها ، فغضب المعتمد وأمر بقتل اليهودي. انظر الحلل الموشية، ص٢٥، ٢٦ .ابن الخطيب-الاحاطة باخبار غرناطة، ج٢، ص ١١٠ .

يصل الى اشبيلية ، وفي الوقت نفسه يزحف الغونسو السادس بالجيش الآخر ، سالكا طريقا آخر ، وأخذ الجيشان يعيثان في البلاد تخريبا وتدميرا الى أن اجتمع الجيشان على ضفة نهر الوادى الكبير قبالة قصر ابن عياد (١)، وذلك لبث الذعر في نفوس المسلمين ٠

وكان ابن عباد قد ادرك رغبة الغونسو السادس التوسعية ، وان نواياه لا تقتصر على ما يملكه ابن عباد ، بل تشمل كل الأندلس تحقيقا لحلم النصارى في طرد العرب نهائيا من الاندلس ٠

بناءًعلى دراك ابن عباد فقد رأى ضرورة الاستعانة بالقوة الاسلامية الفتية التي ظهرت حديثا في المغرب الاقصى ، وشاور ابن عباد خاصته، ووجوه دولته بالاستنجاد بالمرابطين وزعيمهم يوسف بن تاشقين ، وقال لمن حذره - " رعي الجمال ضير من رعى الخنازير " (٢) ، وابن عباد يرى بأن ملكه ضائع لا محالة ، ولكنه يفضل السيادة العربية الاسلامية على النصرانية٠ ويؤكد هذا الموقف ما قاله لابنه الرشيد حيثما حاول ان يعترض على رأى والده - " أى بني ، والله لا يسمع عني ابدا اني اعدت الاندلس دار كفر ولا تركتها للنصارى ، فتقوم عليّ اللعنة في منابر الاسلام مثل ما قامت على غيرى" ٠

عقد المعتمد بن عباد اجتماعا مع أشياخ قرطبة وفقهائها لدراسة الموقف في الاندلس ، وعرض عليهم اقتراحه باستدعاء المرابطين ، وبفضل

---

(١) الحميرى: صفة جزيرة الاندلس، ص٨٥٠المقرى:نفح الطيب،ج٦، ص ٩٠٠

(٢) الحلل الموشية ، ص٢٧٠ الحميرى:صفة جزيرة الاندلس، ص ٨٦،٨٥ ٠

السلاوى: الاستقصا ، ٢٥/٢ ٠ ابن الاثير : الكامل، ٦٢/٨٠

قاضي الجماعة بقرطبة "عبدالله بن أدهم" وافق الجميع على الكتابة الى يوسف بن تاشقين٠(١)٠

رغب ابن عباد أن يشكل وفدا للتوجه نحو ابن تاشفين،وأحب أن يكون هذا الوفد مؤلفا من فقهاء الاندلس ، فخاطب اخوانه فتم تشكيل الوفد من "أبو اسحق بن مقانا" قاضي بطليوس ، أبو جعفر القليعي من غرناطة وعبدالله بن بلقين من غرناطة الى جانب قاضي الجماعة ابن أدهم قاضي الجماعة بقرطبة ، وانضم اليهم الوزير ابو بن زيدون هذا الى جانب وفد يمثل أهل الأندلس لدعوة يوسف بن تاشقين لتخليص الأندلس من الخطر المسيحي المحدق ببلادهم (٢)٠

وقد علم الملك الاسباني الغونو السادس بأنباء اتصالات أهل الاندلس بالمرابطين ، فأرسل الى الزعيم المغربي يوسف بن تاشفين خطابا كله تهديد ووعيد محاولا تحديه وارهابه (٣) ، فرد عليه يوسف بن تاشقين ، الجواب ما تراه بعينك لا ما تسمعه باذنك والسلام على من اتبع الهدى" ثم كتب له :

ولا كتب الى المشرفية والقنا ولا رسل الا بالخميس العرمرم (٤) ٠

استشار يوسف بن تاشفين قومه وكبار رجال دولته والفقهاء في رغبة أهل الاندلس فوافقوا على تلبية الدعوة وقالوا " ان الواجب على كل مسلم يؤمن بالله ورسوله اغاثة اخيه المسلم"٠

---

(١) ابن الاثير : الكامل ، ١٤١/٨٠ ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ٢٨/٥ ٠
(٢) ابن الاثير :الكامل ٨/١٤١،١٤٢٠ ابن الابار : الحلة السيراء، ٢ /٩٩٠
الحميرى: صفة جزيرة الاندلس ٨٥ ، ٨٦ ٠
(٣) الحلل الموشية ، ص ٢٩،٣٠(نص ارساله موجود في الكتاب)٠
(٤) السيف للشاعر أبي الطيب المتنبي (ت ٣٥٤هـ) ٠

وحتى يضمن ابن تاشفين سلامة خطوط مواصلاته ، طلب من المعتمد بن عباد التنازل عن الجزيرة الخضراء ليصنع فيها اثقاله وجنوده ، فوافق المعتمد على الفور على العبور الى الاندلس واخلاء الجزيرة الخضراء (١)٠

الاستعداد لعبور الاندلس :

بدأ يوسف يتأهب لعبور فأرسل الى مدن المغرب لموافاته بالامدادات ، فلما تكاملت حشوده انتقل الى مدينة سبتة للاشراف على نقل القوات التي بدأت بالعبور في شهر جمادى الاولى ٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م٠ ثم عبر ابن تاشفين في اثرهم ، فنزل الجزيرة الخضراء٠

وحرص يوسف بن تاشفين في الجزيرة على تحصينها ، فأمر ببناء الأسوار حولها ، واصلاح ابراجها ، وشحنها بالاطعمة والاسلحة والقى فيها فرقة عسكرية من خيرة جنوده لتأمين ظهره في حالة انسحابه ٠

وكان يوسف بن تاشفين قد أرسل عملاء الى الاندلس لشراء الأسلحة وآلات الحرب والحصار ، وخاصة وأن الاندلسيين كانت لهم مصانع لصنع الاسلحة في اشبيلية والمرية لتوفر معدن الحديد ، وقد عرف هذا العام عام اقتناء العدد والسلاح (٢)٠

رحل يوسف بن تاشفين عن الجزيرة الخضراء بعد أن أصلح ما هو بحاجة الى الاصلاح ثم توّجه نحو اشبيلية ، وما أن اقترب منها حتى خرج المعتمد بن عباد الى لقائه في خيرة أصحابه وقواده ، وعند

(١) الحلل الموشية، ٣١-٣٣٠ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ٢٨٢/٣٠
(٢) الحلل الموشية ، ص ٢٤ ٠

اللقاء تعانق الرجلان ، ثم سارت الجيوش الى اشبيلية حيث اقاموا ثلاثة ايام (١)٠

كتب يوسف الى ملوك الطوائف للاشتراك في الجهاد ، فلبى دعوته عبدالله بن بلقين (صاحب غرناطة) وأخوه تميم (صاحب مالقة)، واعتذر المعتصم من صمادح (صاحب المرية) لكبر السن والضعف، وارسل أبنه معز الدولة في فرقة من الجند (٢) ، والتحق بهم المتوكل بن الافطس ، ثم قام يوسف بن تاشفين بتزويد المجاهدين بالمؤن والعتاد (٣)٠

ثم قام يوسف بن تاشفين فقسم الجيوش الاسلامية الى معسكرين ، المعسكر الاندلسي الذي يشمل جيوش الاندلس ، وجعلها تحت قيادة المعتمد بن عباد ٠

أما المعسكر الثاني ، فيضم الجيوش المرابطية فقائده يوسف بن تاشفين،

التوجه نحو الزلاقة :

اتجهت الجيوش الاسلامية بالتوجه الى شمال بطليموس( ) وأقامت معسكراتها بين بطليموس وقورية أي بين ضفتي وادى آنه ووادى تاحة ، وتسميه الرواية العربية الزلاقة والاسبانية ( )

عندما وصلت الجيوش الاسلامية الى مكان بين ضفتي وادى آنة ووادى تاحة ، كان الغونو محاصرا لسرقسطة ، فأقسم الاّ يبرحها حتى يدخلها، ولكنه اضطر الى فك الحصار وعاد الى طليطلة وانما شعر بقوة

---

(١) ابن الابار :الحلة السيرا ،٢/ ١٠٠ ،ابن أبي زرع :روض القرطاس ١٠٠ ٠
(٢) الحلل الموشية، ٣٤ ، ٣٥٠
(٣) الحلل الموشية ٣٣،٣٤ ،الحميرى :صفة جزيرة الاندلس ٨٧ ـ ٩٠ ٠

المسلمين ، فكتب الى ملوك وامراء النصارى يستمدهم لتقديم الدعم والمساعدة له لوقف الزحف الاسلامي ، فوفدت اليه سريات من الفرسان من ولايات فرنسا الجنوبية ، وسار الغونو على رأس القوات النصرانية الى الجنوب للقاء المسلمين(١) • ثم تقدمت تلك الجيوش حتى أصبحت على بعد ثلاثة أميال من معسكرات المسلمين ، وكان يفصل بين الجيشين نهر بطليوس ، ووقف الجيشان كل منهما امام الاخر مدة ثلاثة أيام ، ثم نشب القتال العنيف بينهما في ١٢ رجب سنة ٤٧٩(٢٣ / ١٠ / ١٠٨٦م)(٢) •

وقد قامت الجيوش الاسبانية بالبدء بالهجوم المفاجئ على معسكرات الجيوش الاندلسية ، فاحدثت فيها اضطرابا شديدا ، فوقف المعتمد بن عباد كالاسد حتى اثخن بالجراح ، واضطر الاندلسيون الى التقهقر امام العدو عدة أميال ، وحينما علم يوسف بن تاشفين بهزيمة الرؤساء حمل بأتباعه على جيوش العدو ووضعوا سيوفهم ورماحهم في نحورهم وظهورهم فانهزموا ، وولّوا مدبرين فاريين مدحورين •

ولا شك ان جمال المرابطين واصوات طبولهم الهائلة قد احدثت اضطرابا في صفوف خيالة العدو التي اخذت تجمع براكبيها في المعركة •

ويبدو ان المرابطين استخدموا سلاحا جديدا لم يعرفه الاسبان وهي الخناجر المقوّسة التي كان المرابطون يطلقون عليها اسم الطاس وقد استطاع

---

(١) السيد ابن عبدالعزيز سالم: المغرب الكبير، ص ٧٢٤• غيان : دول الطوائف ص ٣٢٢•

احدهم ان يطعن الملك الغونسو السادس (١)٠

وانتهز القونس الليل فهرب في نحو ثلاث مائة فارس بعد ان كان قد وصل في ستين ألفا من انجاد ابطاله ، فلما حق الليل وأحق من أن تتبعه الخيل انسل ولحق بطليطلة مهزوما جريحا حزينا ،

وهكذا انتهت الزلاقة بنصر رائع مؤزر ، مما شجع ابن تاشفين في التفكير في تعقب الغونسو الي بلاده (٢)٠ لولا ما ورده من وفاة ابنه الاكبر ابي بكر ، فاضطر الى العودة الى المغرب ، بعد ان ترك تحت امرة المعتمد فرقة عسكرية قوامها ثلاثة ألاف من المقاتلين (٣)،وهكذا محت قوات المرابطين العار الذى لحق ملوك الاندلس من مزلة الغونسو السادس لهم ٠

نتائج الزلاقة :

١ - حرر سرقسطة التي كانت محاصرة من الوقوع في أيدى القشتاليين، كما انقذ طرطوشة وبلنسية الذين كانوا يتأهبون لغزوها (٤)٠

٢ - انقذ الاسلام والمسلمين في الاندلس من ايدى النصارى الذين كانوا يتطلعون الى القضاء على الاسلام بطردهم المسلمين من شبه الجزيرة (٥)٠

---

(١) الحلل الموشية، ص٤٨ وهذافي ابن الابار:الحلة السيراء ٢ / ١٠ وابن ابي زرع روض القرطاس ص١٠٥ ،يقول ابن الاثيرفي اوائل رمضان٤٧٩هـ،وكذلكلمراكش في رمضان٤٨٠
(٢) ابن ابي زرع :روض القرطاس، ص ١٠٥ ، الحلل الموشية ، ص ٤٧٠
(٣) اشباخ : تاريخ الاندلس في عصر المرابطين والموحدين، ص ٨٩٠
(٤) عبدالعزيز سالم : المغرب الكبير ، ص ٧٢٦٠
(٥) حمدى عبدالمنعم حسين : تاريخ المغرب والاندلس ص ٥٩ ٠

٣ - تألق نجم نجم يوسف بن تاشفين وذيوع صيته في المغرب والاندلس ، واصبح في نظر الفقهاء مبعوث العناية الالهية(١).

٤ - تمت حماية غرب الاندلس من خطر القشتاليين بعد ان تولى المرابطون الدفاع عنها وحمايتها .

٥ - ارتفع شأن المرابطين امام الرأى العام الاسلامي ، ونظر اليهم باعتبارهم المجاهدين عن الاسلام ، المدافعين عن ارضه ، الداميين عن ثغوره(٢).

٦ - سقطت هيبة ومكانة ملوك الطوائف في نظر رعيتهم ، مما مهد السبيل الى اسقاط دويلات الطوائف ، ثم ضم الاندلس الى دولة المرابطين في المغرب (٣).

٧ - كان الهزيمة قدرا لانعقاد الصلح بين الغونو السادس وقائده السيد الكنبيطور لحاجة الغونو لسيف قائده(٤).

لقد جاء انتصار المسلمين في الزلاقة بعد سلسلة من الهزائم المذلة على ايدي القشتاليين ، لذلك بالغ الكتاب المسلمين لهذه المعركة، وقارنونها بمعارك الاسلام الكبرى كاليرموك والقادسية (٥) ، بينما لم تكن الانطلاقة سوى صدمة اصابت القشتاليين لفترة قصيرة لم تتجاوز السنتين ، ثم اخذوا يفيقون من الصدمة ، ففي العام التالي استعاد الغونو

---

(١) ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص ١٠٥ . الحلل الموشية ، ص ٤٧ .

(٢) سالم : المغرب الكبير ، ص ٧٢٧ .

(٣) سالم : المغرب الكبير ، ص ٧٢٧ .

(٤) المرجع والصفحة .

(٥) انظر ما كتبه صاحب الحلل الموشية .

قواه ونقل ميدان نشاطه الى شرق الاندلس (١) ، بينما ابتعد علي الميدان الغربي لوجود دولتين قويتين هما اشبيلية وبطليوس بدعمهما فرقة من المرابطين قوامها ثلاثة آلاف مقاتل ، تركها يوسف بن تاشفين تحت تصرف المعتمد بن عباد وعلى رأسها القائد سير بن ابي بكر .

وضع الغونو السادس خطة مع السيد الكنبيطور ،لضم شرق الاندلس وبالذات بلنسية (٢) وفي الوقت نفسه قام غرسيه خيمنث قائد حصن ليبيط بشن غارات مدمرة على امارات المرية ومرسية ولورقة ، فنشر الخراب ، وأصبحت امارتي مرسية ولورقة مهددتان بغزو قشتالي محتوم .

وهكذا ، فقد أهل الاندلس الأمن والسلام ، وساء الموقف من جديد، فاستصرخوا المرابطين للمرة الثانية ولم يمض على انتصار الزلاقة عامان ، فوفدت على ابن تاشفين في مراكز وفود بلنسية ومرسية ولورقة، وشكوا له ما حل بأهل بلنسية من قوات الكنبيطور ، وما حل بأهل مرسية ولورقة وبسطة من غارات لبيط القشتالية (٣).

ثم قدم اليه المعتمد بن عباد ، فتلقاه ابن تاشفين بوادى سبو، وأوضح الصورة لابن تاشفين وخطورة غارات القشتاليين في شرق الاندلس وبخاصة حصن لييط ، وان لا راحة للمسلمين الاّ بالقضاء عليه .

---

(١) سالم : المرجع السابق ص ٧٢٨.

(٢) ابن غدارى : البيان المغرب ، ج٣ ، ص ٣٠٤.

(٣) الحلل الموشية ، ص ٤٧ ، ٤٨ .

العبور الثاني لابن تاشفين ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م :

استجاب يوسف بن تاشفين لرغبة أهل الأندلس ، فعبر الى الجزيرة الخضراء في ربيع الاول ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م ومن هناك كتب الى جميع أمراء الاندلس يدعوهم للجهاد ، واتفق معهم ان يكون اللقاء عند حصن لييط .

تحرك يوسف من الجزيرة الخضراء الى مالقة في صحبة أميرها تميم بن بلقين ، كما لحق به عبدالله بن بلقين صاحب غرناطة ، والمعتصم بن صمادح فضلاً عن المعتمد بن عباد بالاضافة الى أمراء مرسية وشقورة وبسطة وجيان ولم يتخلف من ملوك الطوائف سوى ابن الافطس صاحب بطليوس .

اتجهت الحشود الاسلامية الى حصن لييط حيث تحتشد فيه حامية قشتالية قوامها ألف فارس واثني عشر ألفا من المشاة .

ضرب المسلمون الحصار حول الحصن ما يقترب من أربعة اشهر (١)، كان الجنود والفرسان القشتاليين يخرجون ليلا فينقضون على المسلمين ويلحقون بهم الخسائر .

انتهى حصار المسلمين للحصن بالفشل وذلك لشدة مقاومة الحامية القشتالية ولحصانة الحصن ومناعته واستعصاء نقبه ولاختلاف كلمة المسلمين (٢).

---

(١) ابن ابي زرع : روض القرطاس ، ص ١٠٦ . الحلل الموشية ، ص ٤٨ ، ٤٩.

(٢) سالم : المغرب الكبير ، ص ٧٣٠ .

فقد شكا المعتمد بن عباد ابن رشيق صاحب مرسية الثائر لها عليه الى يوسف بن تاشفين ، وذكر اعتداء ه عليه ، واختلف ابن صمادح مع ابن عباد ، وأخذ ملوك الطوائف يتراشقون التهم امام ابن تاشقين ويحكمونه في منازعاتهم حتى ضاق بهم ، وكان الحصار قد طال وتأهب الغونو للزحف بجيشه لنجدة صاحبه لييط ، كل ذلك حملت يوسف بن تاشفين على رفع الحصار والعودة الى مراكش عن طريق المرية.

العبور الثالث للأندلس سنة ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م :

بلغ يوسف بن تاشفين وهو بحاضرته في المغرب اخبارا عن أهل الاندلس دفعته بأن يفكر جديا من التخلص من ملوك الطوائف :

١ - تقاعس ملوك الطوائف في الدفاع عن اراضيهم .

٢ - استنصر بعضهم (صاحب غرناطة) بدفع الاموال للقونس لنصرته على اخوانه نظير ٣٠ ألف دينار (١) ، وهذه خيانة ضد العرب والمسلمين .

٣ - لاحظ ابن تاشقين ان المعتمد استغل حركة الجهاد المرابطي في الاندلس لتحقيق مصلحته الشخصية ، فهو لم يستعن بهم الاّ ليتخلص من خطر حصن لييط ثم من ابن رشيق .

واستشار ابن تاشفين الفقهاء في حركة الجهاد وضرورة التخلص من ملوك الطوائف ، فوصلت الفتاوى من المشرق والمغرب على السواء وكلهما تجيز له التخلص من ملوك الطوائف (٢) ، بجانب ان الاستيلاء

---

(١) مذكرات عبدالله الزيدي، ص ١٧٥.

(٢) ابن خلدون : تاريخ ، ٦/ ٣٧٤ .

على الاندلس يعتبر ضرورة عسكرية واستراتيجية تتطلبها الظروف المستجدة للظروف الناشئة في الاندلس باعتبارها خط الدفاع الاول عن ديار المغرب ٠

لذلك عزم ابن تاشفين استئصال شأفة ملوك الطوائف ، والاطاحة بعروشهم ، بحجة أنه لا ينبغي لهم قتال الغونو ويتركوا وراءهم ممن يتعاون معهم (١) ٠

جاز يوسف بن تاشفين الى الاندلس وللمرة الثالثة في سنة ٤٨٣/١٠٩٠، وفي نيته القضاء على دويلات الطوائف ، وتوحيد كلمة الاندلس وتأليف جبهة اندلسية مغربية متحدة لمواجهة خطر النصارى المتزايد ٠

بدأ ابن تاشفين بنكبة الآمير عبدالله الزيدى صاحب غرناطة فعزله ونفاه الى مكناسة (٢) ثم اتبعه بأخيه تميم صاحب مالقة وفي سنة ٤٨٤هـ أرسل أربعة جيوش مرابطية لمنازلة ملوك الطوائف وحصارهم ، فعهد الى ابن عمه الآمير سير بن أبي بكر بمحاصرة اشبيلية ودخولها والقبض على المعتمد بن عباد وحمله أسيرا الى المغرب،وكذلك الأمر بالنسبة لبطليوس واسقاط دولة المتوكل على الله بن المظفر الافطسى ٠ الذى قتل وابناءه في اواخر ٤٨٨هـ ٠

وعهد يوسف بن تاشفين الى أبي عبدالله بن الحاج بفتح قرطبة والي أبي زكريا بن واسنو بفتح المرية والي مرور الحبشي بفتح رندة والى داود بن عائشة بفتح السهلة والبونت ومرسيه ٠ وقد علل

---

(١) مذكرات الأمير عبدالله ، ص ٨٧٥ ٠

(٢) الحلل الموشية ، ص ٥١ ٠

يوسف بن تاشفين عمله السابق : " انما كان غرضنا في ملك هذه الجزيرة أن نستنقذها من أيدي الروم ، لما رأينا استيلائهم على اكثرها ، وغفلة ملوكهم ، واهمالهم للغزو ، وتواكلهم وتخاذلهم وايثارهم الراحة ، وانما همة أحدهم كأس يشربها ، وقينة تسمعه ، ولهو يقطع به أيامه، ولئن عشت لاعيدن جميع البلاد التي ملكها الروم في طول هذه الفتنة الى المسلمين ولاملأنها عليهم - يعني الروم - خيلا ورجالاً لاعهد لهم بالرعية ، ولاعلم عندهم برخاء العيش ، وانما هم احدهم فرس يروضه ويستفرهه او سلاح يستنجيده ، او صريخ يلبي دعوته ..." (١).

ولم يستثني ابن تاشفين من ملوك الطوائف سوى المستعين بالله بن هود صاحب سرقسطة ، فقد وجه ابن هود اليه كتابا قائلا " نحن بينكم وبين العدو سد ، لا يصل اليه ضرر ، ومطاعين قطوف ، وقد قنعنا بمسالمتكم" (٢) .

وقد قامت العلاقات الودية بينهما وتبادل الهدايا ، وظلت هذه العلاقات قائمة الى ان استولى المرابطون على سرقسطة في عهد عبد الملك عماد الدولة في ١٠ ذي القعدة ٥٠٣هـ/ ١١١٠م .

وهكذا تمكن يوسف بن تاشفين من التخلص من ملوك الطوائف في الاندلس ، وأسس دولة مترامية الاطراف تشمل على القسم الغربي من المغرب والاندلس .

وفي سنة ٤٩٦هـ/ ١١٠٢م عبر يوسف بن تاشفين وللمرة الرابعة

---

(١) المراكشي : المعجب من تلخيص اخبار المغرب ص ١٦٣.

(٢) الحلل الموشية ، ص ٥٤ ، ٥٥ .

والاخيرة الاندلس ، ووضع اسسا ثابتا للدولة الجديدة ، فقد احسّ ابن تاشفين بأنه قام بواجبه ، وارضى ضميره وعفّر جبهته بتراب الجهاد، ولبى نداء الجهاد وثبّت اقدام الاسلام في شبه الجزيرة بعد أن كادت تقصف به الخطوب ، ويبدو ان يوسف بن تاشفين قد احس بقرب الخاتمة، فرأى أن يأخذ البيعة بولاية العهد لابنه علي ، وقد تمت البيعة في مدينة قرطبة ، ثم عاد يوسف بن تاشفين الى المغرب ، حيث اعتل في اواخر سنة ٤٩٨هـ/ ١١٠٤م ، واستمر عليلا ما يزيد على سنة وتوفى في مستهل محرم سنة ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م (١) ·

جهاد المرابطين في الاندلس :

بذل المرابطون جهودا جبارة خلال ستين سنة في جهاد ضد القشتاليين والارغونيين ، وذلك تبعا للأهداف الأولى لعبور الأندلس الذى كان يهدف لانقاذ الاسلام في الاندلس ·

١ ـ تمكن القائد ابراهيم بن اسحق اللمتوني من هزيمة قوات النصارى بقيادة البرهانش في المدور جنوبي الاندلس ·

٢ ـ نجح داود بن عائشة من استرداد حصن لييط ·

٣ ـ استرد القائد المرابطي محمد بن مزدلي بلنسية سنة ٤٩٥هـ ، التي

---

(١) ابن ابي زرع : روض القرطاس ، ص ١٠٩ ·
الحلل الموشية ، ص ٥٦ ، ٥٧·
ابن الخطيب : الاحاطة في اخبار غرناطة ، ٢/ ٥١٨ ـ ٥٢٢·
بروفنسال : الاسلام في المغرب والاندلس ، ص ٢٤٠ ·

كان قد استولى عليها الكلنبيطور سنة ٤٨٨هـ (١) بعد وفاته (٢) .

٤ ـ وتبع ذلك استيلاء المرابطين على الحصون مريطر والمنبارة ، والسهلة وغيرها والموزّعة في وسط وشرق الاندلس .

٥ ـ انتصر المرابطون على قوات الغونسو السادس في قنوجرة وقونكة، وملجون في سنة ٤٩٤هـ .

٦ ـ تمكن المرابطون في عهد الأمير علي بن يوسف بن تاشقين وبقيادة تميم بن يوسف من هزيمة قوات الغونو السادس عند أقليش (Ucles) في ١٧ شوال سنة ٥٠١هـ وقتل الأمير سانشو بن الغونو السادس من زايدة المسلمة كنسه المعتمد بن عباد وقتل عدد كبير من مقاتلة النصارى وكماتهم ، يبلغ نحو ٢٣ ألفا من بينهم سبعة قوامس ، ولذلك عرفت بموقعة القوامس السبعة (٣)، واستولى المرابطون أثر المعركة على مدينتي قونكة وبذه .

٧ ـ عبر علي بن يوسف الأندلس سنة ٥٠٣ وخرّب منطقة طليطلة، واستولى على بعض الحصون منها : مجريط ، وادى الحجارة .

٨ ـ غزا الأمير سير بن أبي الغرب في ذى الحجة سنة ٥٠٤ ، وتغلب على شنترين ، وبطليوس ، وشنترة ، وبرتقال ، وبايرة ، وأشبونة.

٩ ـ استرد المرابطون تطيلة سنة ٥١١هـ بعد أن اغتصبها الغونو المحارب ملك أرغون في رجب سنة ٥٠٣هـ وقتل المستعين بالله

---

(١) ابن عدارى : البيان المغرب ، ٣٥٦/٣ .

(٢) ابن عذارى : المصدر نفسه ص ٣٠٦ ، المقرى : نفح الطيب ، ج ٦ / ١٩٨.

(٣) سالم : المغرب الكبير ، ص ٧٣٥ .

بن هود في واقعة بلتيسرة •

١٠- هزم الغونو المحارب قوات المرابطين أمام سرقسطة فانسحبوا منها سنة ٥١٢هـ فاتخذها عاصمة له ، ثم ضم الغونو طركونة ، وقلعة أيوب • وتوالت الهزائم في سنة ٥١٤ هـ ، فسقطت كتندة وطرسونة، وسالم وفي عام ٥١٩ هـ ضرب الغونو حتى وصل بالقرب من غرناطة (١) وفي سنة ٥٢٨ هـ تطلع الغونو المحارب الى الاستيلاء على لاردة وافراغة، ولكنه هزم هزيمة نكراء في افراغه على ايدى المرابطين ، وقوات ابن غانية وابن حردنيش بقيادة يحى بن علي بن يوسف بن تاشفين (٢)، وقتل فيها أكثر رجاله ، كما تتفق الروايات بأن الغونو المحارب قد لقي حتفه في هذه الموقعة (٣)•

أسباب ضعف ونهاية المرابطين :

توفي يوسف بن تاشفين سنة ٥٠٠هـ/ وخلفه ابنه علي الذى تلقب بلقب أبيه " امير المؤمنين" فجرى على سنة أبيه في حبه للجهاد وحماية البلاد ، وكان حسن السيرة ، بعيدا عن الظلمة ، قرب اليه الزهاد والتقاه(٤) •

---

(١) الحلل الموشية ، ٦٦ ـ ٦٩•

الاحاطة في اخبار غرناطة ، ص ١١٤ ـ ١٢٠ •

(٢) الحميرى : ص ٢٤•

(٣) يوسف أشياخ : تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ص ١٦٥•

(٤) المراكشي : المعجب في تلخيص اخبار المغرب ص ١٧٤•

ورث علي عن والده يوسف بن تاشفين دولة واسعة تمتد من بجاية شرقا الى السوس الأقصى غربا ، ومن السودان جنوبا الى سرقسطة والثغر الأعلى في الاندلس شمالا •

ويبدو أن المرابطين أخذوا ينغمسون في الترف والرفاهية • مع الأيام ، وساءت الثقافة الاندلسية في مراكش ، كما اقبل رجال الادب والعلم من الاندلس الى بلاط الامير (١) في مراكش كأبي القاسم بن الجد ، وأبي بكر محمد بن محمد المعروف بابن لقيطرفة ، وأبن أبي الخصال ، وعبدالحميد بن عبدون وغيرهم (٢) •

وفي غمرة الحياة الجديدة ، فقد الملثمون الصفات التي جعلت منهم رجال جهاد مظفرين ، مما جعل حال الجيش المرابطي في الاندلس يتدهور ، وأدى تراخي المرابطين في الدفاع عن الثغور الاسلامية الى ضعف الدولة المرابطية •

كما لا نستطيع ان ننس الضربات العنيفة التي كان يسددها نصارى اسبانيا الى الاندلس ، وتكتل ممالك قطالونية وأرغون وقشتالة والبرتغال ضدهم •

ولا ينبغي ان نتجاهل عاملا مهما وهو قيام المهدى بن تومرت بالثورة على المرابطين في المغرب مما أدى الى صرف قسم كبير من جهودهم •

ان المعارك المتواصلة التي خاضها المرابطون في شبه الجزيرة وفي الجزء الشرقي منها والثغر الأعلى منها قد استنزفت قسما كبيرا من قوى المرابطين وقضت على مواردهم ، كما ان امتناع أهل الاندلس عن خونتهم

---

(١) سالم : المغرب الكبير ، ص ٧٣٩ •

(٢) ليفي بروفنسال : الاسلام في المغرب والاندلس، ص ٢٤٧•

وتنكرهم لهم ثم دعوتهم للموحدين أدت الى الضعف ثم نهايتهم ٠

لقد حاول علي بن يوسف بن تاشفين أن يسد خلل الاندلس ، فقام بزيارة الاندلس أربع مرات ليتفقد بنفسه أحوالها ، فقام بمقاتلة النصارى ، وحد من نشاطهم ، وجند في سبيل ذلك كل طاقة المرابطين، وسخر جميع امكاناتهم ٠

وبالرغم مما بذله علي ، فقد تكسرت جهوده أمام تقاعس أهل الاندلس وتخاذلهم وتراخيهم في المساهمة في مقاتلة النصارى ، بل اكثر من ذلك فقد انحاز عبدالملك بن أحمد المستعين وتحالف مع الى جانب ملك قشتالة مما تسبب ضياع سرقسطة نهائيا من المسلمين ٥١٢هـ (١) ، وأخذ أخرون بالثورة ضدهم للتخلص من تبعيتهم ، فقد ثار أهل قرطبة على الأمير علي بن يوسف سنة ٥١٥هـ (٢)٠

ولما توفي علي بن يوسف سنة ٥٣٣هـ ، وخلفه ابنه تاشفين توالت الهزائم في المغرب على ايدى عبدالمؤمن بن علي خليفة الموحدين واستغل أهل الاندلس هذه الفرصة ، وأعلنوا ثورتهم في الاندلس فتمزقت البلاد من جديد الى دويلات وطوائف ، واستعان الثوار على المرابطين بجيوش قشتالة وبرتغالية كأن وزير ،وأبو محمد سرارى وابن عياض٠

ولعل من أسباب ضعف المرابطين انصراف فقهاء المرابطين عن دراسة الحديث ، فهم لا يرجعون الى الاصول لكي يستنبطوا منها الاحكام ويتخذوها

---

(١) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ١٧٥ ، ١٧٦ (الخاص بالاندلس)٠

(٢) الحلل الموشية ص ٦٣ ٠

مادة للدراسة ، وانما اكتفوا بالاحاديث في كتب الفروع وجعلوها مرجعهم الوحيد من غير تحفظ (١) .

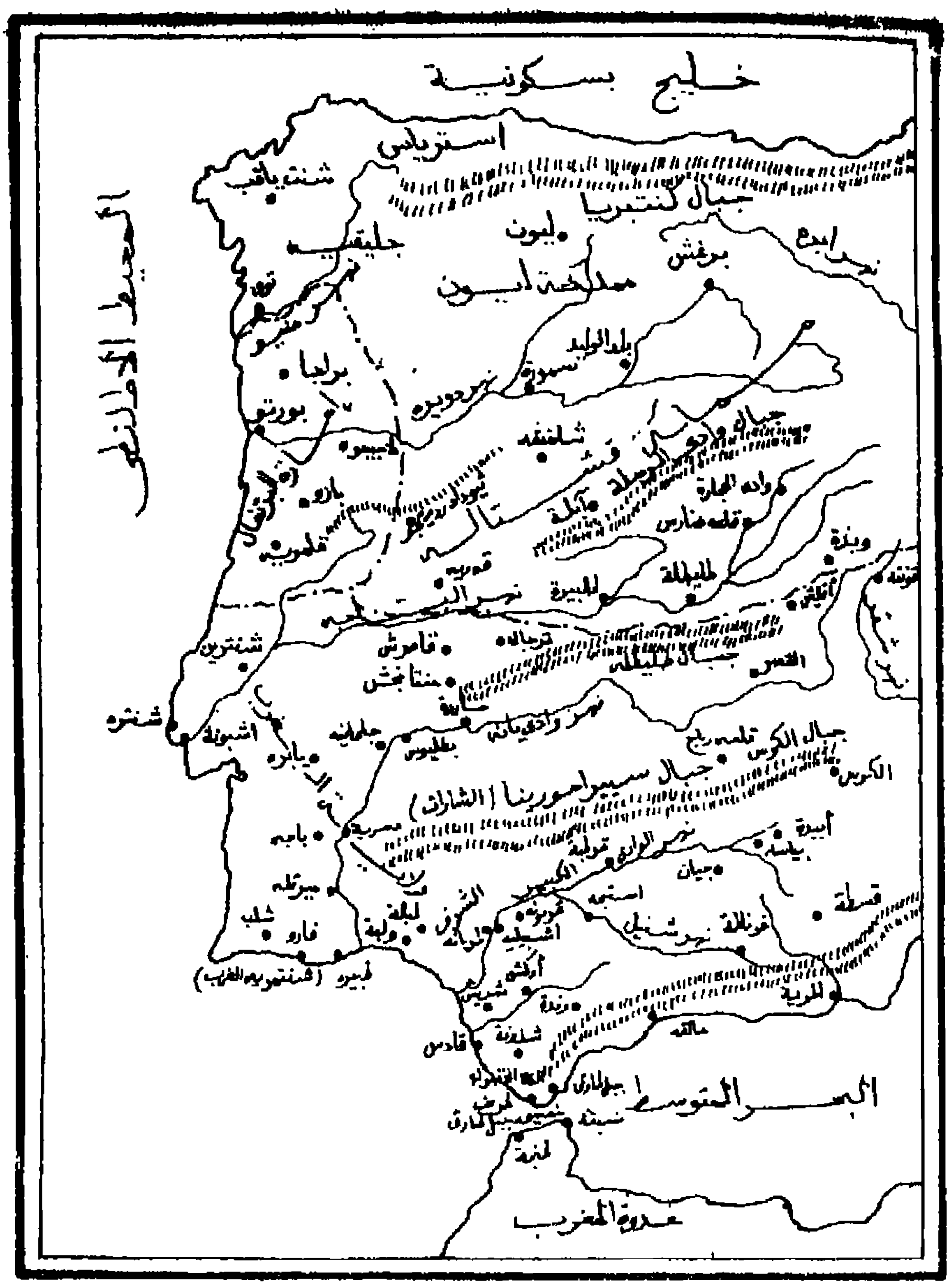
ومهما يمكن أن يقال عن المرابطين ، فقد استطاعوا ان يفرضوا نفوذهم في القسم الغربي من بلاد المغرب ، ويعود لهم الفضل في تكوين الوحدة السياسية للمغرب الأقصى .

ولهم يعود الفضل في رفع راية الجهاد ضد النصارى ، فانقذوا بذلك الاسلام في اسبانيا من استرداد مسيحي وشيك .

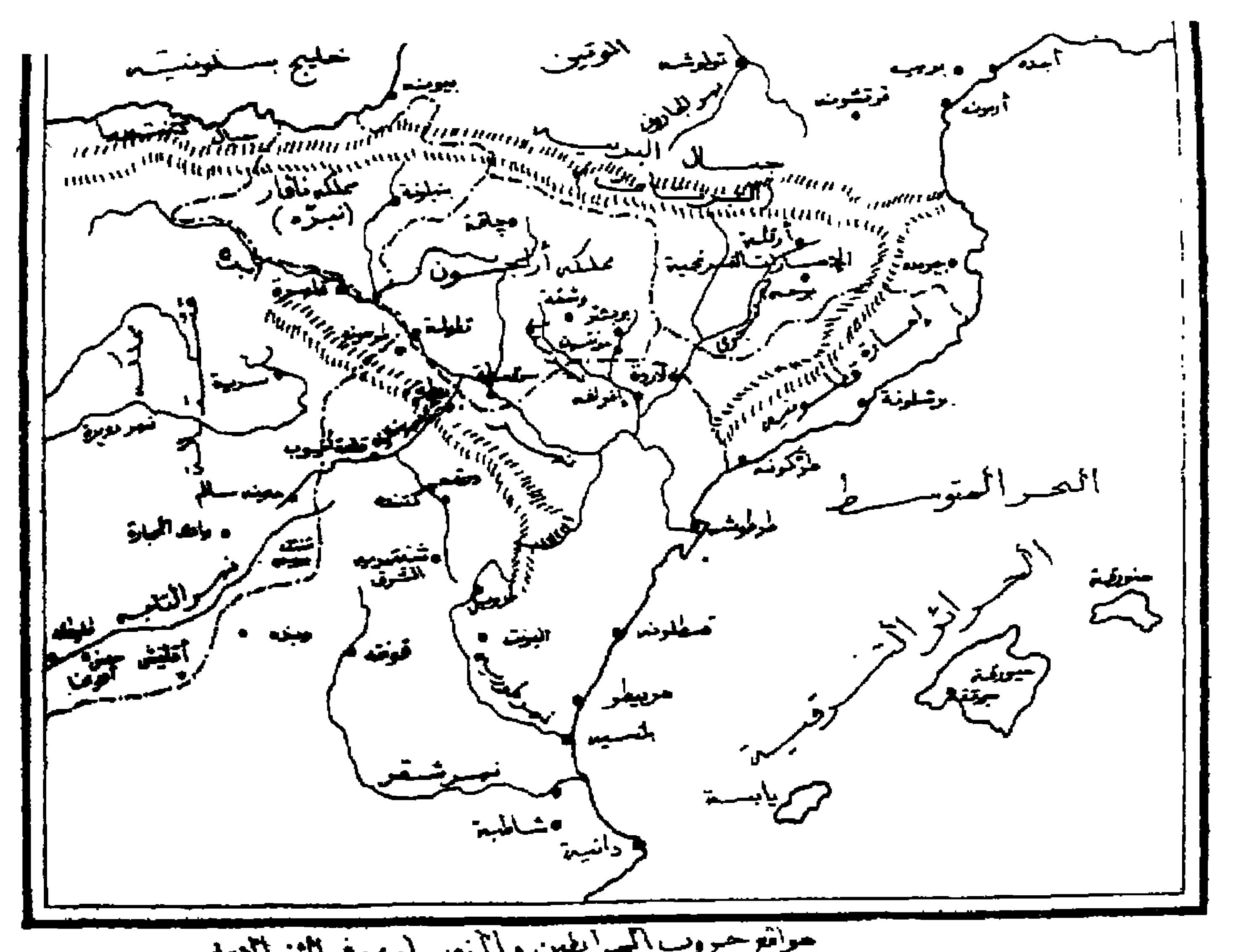
---

(١) بروفسال : الاسلام في المغرب والاندلس ، ص ٢٥٠ .

سالم : المغرب الكبير ، ص ٧٤٣ .



مواقع غزوات المرابطين التي قام بها
علي و تاشفين
في أراضي قشتالة والبرتغال
نقلاً عن : عنان ، عصر المرابطين والموحدين ، ص ١٣٧



مواقع حروب المرابطين والنصارى في الثغر الأعلى
حتى موقعة إفراغة سنة ٥٢٨هـ
نقلاً عن : عنان، عصر المرابطين والموحدين، ص ٩١.

الفصل الثالث

دولة الموحدين

٥١٥هـ ـ ٦٦٨هـ/ ١١٢٢ ـ ١٢٦٩م

- ظهور الموحدين
- النزاع بين الموحدين والمرابطين
- جهاد الموحدين في الأندلس
  التركيز على وقعتي آلارك ، والعقاب •
- انهيار دولة الموحدين •

أمـــراء وملـوك الـموحديـــن

١ ـ محمد بن تـومــــرت ٥١٥ ـ ٥٢٤هـ/ ١١٢٢ ـ ١١٣٠م ٠

٢ ـ عبدالـمؤمــــن بن علـي ٥٢٤ ـ ٥٥٨هـ/ ١١٣٠ ـ ١١٦٣م ٠

٣ ـ أبـو يـعقوب يوســـــف الأول ٥٥٨ ـ ٥٨٠هـ/ ١١٦٣ ـ ١١٨٤م ٠

٤ ـ أبـو يوسف يعقوب (المنصور) ٥٨٠ ـ ٥٩٥هـ/ ١١٨٤ ـ ١١٩٩م ٠

٥ ـ محمد الـناصر ٥٩٥ ـ ٦١١هـ/ ١١٩٩ ـ ١٢١٤م ٠

٦ ـ أبـو يـعقوب يـوسف الثاني ٦١١ ـ ٦٢٠هـ/ ١٢١٤ ـ ١٢٢٣م ٠

٧ ـ أبـو محمد عبدالـواحد (المخلـوع) ٦٢٠ ـ ٦٢١هـ/ ١٢٢٣ ـ ١٢٢٤م ٠

٨ ـ أبـو محمد عبدالله (الـعادل) ٦٢١ ـ ٦٢٤هـ/ ١٢٢٤ ـ ١٢٢٧م ٠

٩ ـ يحي (الـمعتصم بالله) ٦٢٤ ـ ٦٢٦هـ/ ١٢٢٧ ـ ١٢٢٩م ٠

١٠ـ أبـو الـعلاء ادريس (الـمأمون) ٦٢٦ ـ ٦٣٠هـ/ ١٢٢٩ ـ ١٢٣٢م ٠

١١ـ عبدالـواحد بن الـمأمون ٦٣٠ ـ ٦٤٠هـ/ ١٢٣٢ ـ ١٢٤٢م ٠

١٢ـ أبـو الـحسن علـي الـسعيد ٦٤٠ ـ ٦٤٦هـ/ ١٢٤٢ ـ ١٢٤٨م ٠

١٣ـ أبـو حفص عمر (المرتضى) ٦٤٦ ـ ٦٦٥هـ/ ١٢٤٨ ـ ١٢٦٦م ٠

١٤ـ أبـو الـعلاء الـواثق (ابن ديوس) ٦٦٥ ـ ٦٦٨هـ/ ١٢٦٦ ـ ١٢٦٩م ٠

دولة الموحدين

٥١٥هـ - ٦٦٨هـ/ ١١٢٢ - ١٢٦٩م

ظهور الموحدين :

قامت هذه الدولة على انقاض دولة المرابطين ، وبذلك خلفتها في حكم المغرب والاندلس ، وقامت هذه الدولة كدولة المرابطين على أساس دعوة دينية اصلاحية هدفها تجديد وتحقيق وحدة اسلامية شاملة.

ومؤسس هذه الدعوة هو محمد بن تومرت (١) من أهل السوس من قرى هرغة الواقعة على سفح جبل ابجليز بجبال أطلس ، وكان أبوه شيخ القبيلة ، مما أتاح له حفظ القرآن في مكتب القرية ٠ ولما اشتد عوده وبلغ السادسة عشرة توجه الى بغداد فوصلها عام ٥٠١هـ حيث أخذ أصول الدين عن أبي بكر الشاشي وسمع الحديث على المبارك بن عبدالجبار، ثم رحل الى الشام فالتقى بأبي حامد الغزالي (٢) ، ثم توجه الى مصر وأخيرا عزم على العودة الى مسقط رأسه بعد أن قضى في طلب العلم ما يقرب أحد عشر عاما ٠

أخذ محمد بن تومرت يطوف البلاد ، فنزل بادئ الأمر المهدية ، ثم المنستير ، ثم قسنطينة ، ثم بجاية حيث اجتمع اليه الفقهاء لسماعه، فلما أقبل عيد الفطر خرج الرجال والنساء لصلاة العيد في الشريعة (المصلى) ، فاستنكر ابن تومرت ذلك وأخذ يضربهم وبدد

---

(١) انظر روض القرطاس، ص١١٠ ابن خلدون: تاريخ، ج٦، ص ٢٢٥ المراكشي، ص٩٩ ، الحلل الموشية ، ص ٧٥، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٢، ص ٤٨٠ بروفنسال : الاسلام في المغرب والاندلس، ص ٢٦٥٠

(٢) المراكشي : المعجب ص ١٧٨ ٠

معهم (١) ، فما كان من صاحب بجاية الا ان أمره بالخروج ، فنزل ضيعة لها ملالة (٢) ، وأقام فيها مسجلا فأقبل اليه الطلبة ، وكان من أقبل اليه : عبدالمؤمن بن علي الكومي الذى كان يعتزم التوجه الى لطلب العلم ، ولكنه اقتنع لعلم وفهم ابن تومرت لكتاب وسنة نبيّه ، وقرأ ابن تومرت علامات الذكاء ومخايل النبوغ المعرفة وعرف منه القيادة والزعامة المنتظرة فأقنعه : بأن العلم يريد نهله بالمشرق موجود عنده في المغرب • وأسمعه " أنما وصلاح الدنيا على يديك " ، وطوبى لاقوام كنت أنت مقدمهم لقوم خالفوك أولهم وآخرهم" (٣) فعني بتثقيفه أتمّ عناية اختاره وزيرا (٤) ، وهكذا استقر رأى عبدالمؤمن على البقاء مع ابن ومرت ، فقضى أشهرا يقرأ عليه ، وكان أكثر الطلاب استيعابا لعلوم الشرعية ، ثم رحل بن تومرت الى تلمسان ، ومنها الى أغادير وحده ، وأخيرا فاس • فنزل مسجد ابن العنام واستقّر في بيت صومعته اتخذه ابن تومرت للتدريس •

بلغ والى فاس أمره فجمعه مع نفر من فقهاء فاس للمناظرة ، تفوق عليه ، فأشار الفقهاء على الوالي باخراجه من المدينة حتى

---

١) البيذق : ص ٥١ ، ٥٢ •

٢) المراكشي : المعجب ص ١٨٠ •

٣) البيذق : ص ٥٦ •

٤) يوسف أشباخ : تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ص ٨٨ •

لا يفسد عقول الناس ، فأخرج من فاس (١)٠ فمضى وأتباعه الى مراكش ٠

ومرّة ثانية جرت مناظرة مع علماء مراكش أمام علي بن يوسف فافحم علماءها ، فنصحوا علي بن يوسف بحبسه ، فأبى أن يفعل وانما اكتفى باخراجه من مراكش ، فخرج ومنها حتى استقر به المقام في قريته ايجليز من هرغه ، فنزل داره سنة ٥١٤/ ١١٢١م وأقام رابطة للعبادة في سنة ٥١٥/ ١١٢٢م واجتمع اليه الطلاب والناس ٠

ان ابعاد ابن تومرت عن العاصمة كان الاسفين الاول والخطير الذى خرق به الموحدون ملك المرابطين ، فقد أتاح لابن تومرت ، وقد عرف نقاط الضعف في خصومه في المناظرة ، ووقف قبلها على نفسية الشعب بما بثه بينهم من مواعظ وافكار - أن يتفرغ - لتركيز ذهنه وعبقريته لوضع الآسس والمبادئ للدولة المختمرة فكرتها في دماغه،فكان أن انسحب من مراكش الى قرية تينملل ، حيث حقق احتراما وكسب أعوانا ومعارف واتباع ، وهذه القرية منيعة حصينة ضد كل من يريد بها سوءا ، فمنها انطلقت الشرارة الاولى للدعوة الموحدية، وفيها وضعت الآسس الأولى دولتها الاولى (٢)٠

الاحتكاك مع المرابطين :

بعد أن استقر ابن تومرت في تينملل ، أخذ يتلقى البيعة سنة

---

(١) المراكش : المعجب ١٨٣٠

(٢) المصدر نفسه : ١٨٤ ٠

(٣) عبدالكريم التوالي: مأساة انهيار الوجود العربي في الاندلس، ٣٣٩ ٠

٥١٥هـ/ ١١٢٢م وكان أول من بايعه عبدالمؤمن بن علي ثم سائر أصحابه وتلقب المهدى ، وصرح بدعوى العصمة لنفسه ، وأنه المهدي المعصوم، فأقبل عليه الاشياع والاتباع من سائر قبائل المغرب الاقصى ، وبايعوه مرة ثانية في سنة ٥١٧/ ١١٢٤م ، ولم تزل طاعتهم له تزداد و فتنتهم به تشتد ، وتعظيمهم له يقوى ويتأكد حتى بلغوا في ذلك الى حد استعداد احدهم لقتل أبيه أو أخيه (١).

لقد سمى ابن تومرت أصحابه بالموحدين ، لانهم أول من تحدث في التوحيد وعلم الكلام والمغرب ، وسماهم ايضا بالمؤمنين لانه ليس على الارض من يؤمن ايمانهم (٢).

ابتدأ ابن تومرت بانتقاء اتباع له يكونون ذوى حماس وعصبية، وكوّن منهم حواريين وانصارا ضمن نظام دقيق ، فقد صنف أولئك الحواريين الى اربعة عشرة طبقة (٣).

الاولى : العشرة ، وهم المهاجرون الاولون الذين اسرعوا في تلبية دعوته وسماهم الجماعة وأولهم عبدالمؤمن .

الثانية : الخمسون ، ويمثلون قبائل مختلفة من البربر .

الثالثة ، السبعون : يتولى اعضاء هاتين الطبقتين مهمة المجلسين النيابيين ، ويشيرون على العشرة ، ويعنون بما يعن لهم من مصاعب الامور .

---

(١) المراكشي : المعجب ص ١٩١.

(٢) سالم : المغرب الكبير ص ٧٧٨ .

(٣) الحلل الموشية : ص ٧٩ .

الرابعة : العلماء ·

الخامسة : الطلبة ·

السادسة : أسرة المهدى وحاشيته ·

السابعة : قبيلة أهل هرغة ·

الثامنة : قبيلة أهل تينملل ·

التاسعة : أهل جرميوت ·

العاشرة : أهل ضيعمة ·

الحادية عشرة : اهل هنتانة ·

الثانية عشرة : الجند من مختلف القبائل ·

الثالثة عشرة : الغزاة ·

الرابعة عشرة : الرماة ·

وقد تمكن ابن تومرت من تأليف جيش قوى من المصامدة ، فغزا بهم تسع غزوات ، ولم تكن سوى اشتباكات خفيفة مع بعض القبائل الموالية للمرابطين ، انتصر الموحدون في معظمها ·

وفي سنة ٥١٧هـ/ ١١٢٤م تجددت الاشتباكات ونجح الموحدون بقيادة عبدالرحمن بن زجو فى الاستيلاء على قلعة تاسفيموت (١) · وفى السنة التالية افتتحت بلاد ماغوسة وهناية وفي عام ٥٢١/ ١١٢٧م بعث ابن تومرت عبدالمؤمن الى جزولة حيث التقى مع تاشفين بن علي بن يعسف·

ومنذ ٥٢٤هـ/ ١١٣٠م اخذت الاشتباكات طابع الصدام المسلح ، فقد جهّز ابن تومرت جيشا كبيرا يقدر بأربعين ألفا فوصل ظاهر مراكش فخرجت جيوش المرابطين بقيادة الزبير بن علي بن يوسف ، واشتبك

---

(١) البيذق ، ص ٤٧٩ المراكشي ، ص ١٩٣ ·

الجيشان في معركة ضارية قتل عدد كبير من الموحدين وجرح قائدهم عبدالمؤمن ، بجرح عميق في فخذه (١)٠

أحس ابن تومرت بالمرض بعد هزيمة مراكش بأربعة أشهر سنة ٥٢٤هـ ، فدخل داره بتينملل ، ولم يخرج منها الآّ الى قبره حيث دفن سرا في ٢٩/ رمضان سنة ٥٢٤هـ ، واخفى اصحابه نبأ وفاته ثلاث سنوات ، قام الموحدون بشن الغارات على المرابطين ، ثم اعلنت وفاة المهدى رسميا في سنة ٥٢٧هـ/ ١١٣٣م ، وبويع عبدالمؤمن أميرا للمؤمنين فقد بايعه ثلاثة أشياخ من الموحدين هم : عمر أُصناج ، وعبدالرحمن بن زجو ، وأبو ابراهيم اسماعيل الهزرجي (٢)، وقد سبق أن لقب ابن تومرت عبدالمؤمن عندما جهّز الجيش المتوجه نحو مراكش لمقاتلة المرابطين وقال للمقاتلين " انتم المؤمنون وهذا أميركم"(٣) وقد اصطفاه واتخذه وزيره ، وندبه للصلاة مكانه وعهد اليه بدفنه وكثيرا ما صرّح بأن لا خوف على الموحدين ما دام عبدالمؤمن على قيد الحياة ، فهو المنقذ عند المحنة (٤)٠

---

(١) البيذق ص ٧٩ ، المراكشي ، ص ١٩٣٠

(٢) المراكشي : المعجب ص ١٩٣٠

(٣) المراكشي المعجب : ١٩٢٠

(٤) يوسف اشياخ : تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ص ١٩٥ ٠

الموحـدون يسقطـون دولـة المرابطيـن :

كانـت الحـروب هي الحكـم الفاصـل في تقويـض دولـة المرابطيـن، فقـد واصـل عبدالمؤمـن هجماتـه ليضـم بـلاد المغـرب الادنـى والاوسـط حتى يصبـح المغرب كلـه خاضعـا لـه ، وقـد سبـق للقبائـل الجبليـة ان اطاعتـه وبذلـك زاد اتباعـه في الوقـت نفسـه انقضـت القبائـل على المرابطين في سائـر بـلاد المغـرب لشعورهـم بضعـف دولتهـم • فأرسـل علي بن يوسـف ابنـه تاشفيـن لقتـال الموحديـن سنـة ٥٣٣ ، فاصطـدم معـه عبـد المؤمـن في بـلاد صاجـه حيـث انتصـر عبـدالمؤمـن حيث عاد علي بن تاشفين الى مراكـش مهزوما •

وتكـرررت انتصـارات عبدالمؤمـن ففي سنـة ٥٣٥ اشتبـك مع الابرتيـر في احظـرور وفي المغرب الاوسـط ،وتوفي علي بن يوسـف سنـة ٥٣٧ في احـدى الغـزوات ، فخلفـه ابنـه تاشفيـن •

واصـل عبدالمـؤمن زحفـه شرقـا الى جبـال غيانـة وبطوبـة وملويـة ، ثم زتانـة وقتـل الابرتيـرو ودخـل تلمسـان سنـة ٥٣٩•

وفي ٢٧ رمضـان ٥٣٩ تراجـع تاشفيـن الى وهـران حيـث تردى في بعـض حافـات الجبـل فمـات ، فدخـل الموجـدون المدينـة•(١)•

ثم تطلـع عبدالمؤمـن الى فتح فـاس ، فعـزم على السيـر اليهـا ، فلمـا علم يحـي بن أبي بكـر بن يوسـف بن تاشفين ، قائـد فـاس ، خرج لمقاتلـة الموحديـن ، فانهزم وانسحـب الى فاس (٢) فمـا كان من عبدالمؤمـن الا ان حاصـر فاس ، وأرسل من يقوم بافتتـاح مكناسـة ، فافتتـح جميـع أرياض مكناسة مـا

---

(١) ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص ١٢٣•

(٢) البيذق : ص ٩٩ •

عدا تاجرارت .

وطال الحصار الذي استمر تسعة أشهر ، ثم افتتح الموحدون المدينة في ١٤ ذي القعدة سنة ٥٤٠هـ . صمم عبدالمؤمن على السير الى مراكش ، بينما عهد بمحاصرة مكناسة الى قائده يحي بن يوقور ، ومضى هو في مهمته ، وامدته قبيلتا هسكورة وصنهاجة بعسكر ضخم، هبط بهم عبدالمؤمن الى وادي ام الربيع واستولى على آزمور ، ثم عبر نهر تنسيفت حتى وصل تاقايط (١) ومنها الى جبل ايجيليز الذي يشرف على مراكش وضرب عنده القبة الحمراء(٢).

خرج جيش المرابطين بقيادة اسحق بن علي بن تاشفين في ٥ محّرم فهزمهم الموحدون عند اول لقاء وقتل منهم عدد كبير اثناء محاولتهم دخول مراكش ، وفي ١٨ شوال تمكن الموحدون من تسلق الاسوار بالسلالم واقتحموا المدينة في جملة من رجاله بالقصبة واستمر الموحدون يقاتلون حتى الزوال وعجز المحصورون عن مواقعة الموحدين فدخل الموحدون المدينة (٣).

لقد كانت فتوحات الموحدين عامة وشاملة ، وكانت تنتهي دائما بالانتصارات الباهرة ، مما جعلهم بعد فتح مراكش سادة المغرب كله ، وهذا حفزّهم الى التطلع الى الاستيلاء على الاندلس ، لان ضم الاندلس يعتبر في نظر حكام المغرب يومئذ البرهان الحقيقي على القدرة ، كما يشير على ثبوت السلطان ، فالاندلس هي المركز الحربي للغزو والجهاد

---

(١) مدينة صغيرة على مسافة قصيرة الى الشمال من مراكش .

(٢) البيذق : ص ١٠٢ .

(٣) الحلل السندسية ، ١٠٢ ، البيذق ص ١٠٤ .

وبالتالي هي مصدر الغنائم للجيش الذي يتحرق شوقا لذلك .

فتح الاندلس :

انتهز اهل الاندلس فرصة ضعف تاشفين بن علي ، وتوالي الهزائم عليه في المغرب على ايدي الموحدين فأعلنوا الثورات عليه في كل مكان بالاندلس ، وزادت هذه الثورات عنفا بعد وفاة تاشفين في سنة ٥٣٩هـ/ ، وكان علي بن عيسى بن ميمون من هؤلاء حيث استقل بقادس ودخل في طاعة الدولة الفتية الجديدة دولة الموحدين ، وقام احمد بن قسي الصوفي الثائر في مرتلة ، فلما استولى ابو محمد سداری على مرتلة أجاز ابن قسي الى عبدالمؤمن بمراكش سنة ٥٤١هـ ، ورغبة في امتلاك الاندلس فسير عبدالمؤمن معه جيشا بقيادة براز بن محمد الموفى (١) في شعبان سنة ٥٤١ ، ثم امده بجيش أخر بقيادة موسى بن سعيد وجيش ثالث بقيادة عمر بن صالح الصنهاجي حتى نزلوا الاندلس ، فدخلوا لبلة ، ثم مضوا الى مرتلة ، وشلب ، وباجه ، وبطليوس ثم انطوت اشبيليا تحت لوائهم سنة ٥٤١هـ/ وفي هذه السنة دخلوا مالقة غير ان يوسف البطروجي صاحب لبلة نكث بطاعته وحوّل الدعوة عن الموحدين ، وكما ارتد عن طاعتهم ابن قسي في شلب وعلي بن عيسى بن ميمون في قادس محمد بن علي بن الحجام في بطليوس .

ان حركة النكوث والارتداد اضطرت أمير المؤمنين عبدالمؤمن

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ، ج٦ ، ص ٤٨٠ .

الى ارسال جيش الى الاندلس وللمرة الثانية بقيادة يوسف بن سلمان(١) فنزل يوسف اشبيلية التي اتخذها الموحدون حاضرة الاندلس ، وتمكن يوسف بن سليمان من بسط نفوذ الموحدين على بطليوس وشنتمرية وقادس وشلب ولبلسة ، ثم دخلت قرطبة وجيان في طاعة الموحدين سنة ٥٤٣ ، ولم يمض عامين حتى عاد الخارجون ثانية للطاعة فبايعوا عبدالمؤمن واعلنوا الدخول في طاته •

ودخلت المرية في حكم الموحدين سنة ٥٤١ هوتولى على جيوش الموحدين عبدالله بن سليمان الذى قتله البحريون فوليها من قبل الموحدين يوسف بن مخلوف فثار عليه أهل المرية وقتلوه وقدموا على انفسهم ابايحي بن الرميمي (٢)• وفي سنة ٥٤٩هـ/ تغلب الموحذون على غرناطة بعد ان خرج عنها ، ميمون بن بدر اللمتوني ، وتوطد نفوذهم في جنوب الاندلس•

تلقى السيد أبو سعيد عثمان بن عبدالمؤمن ، والي الجزيرة ومالقة وغرناطة أمر أبيه بمحاصرة المرية برا وبحرا وتخليصها من النصارى فتقدم أبو سعيد نحوها للجهاد ومعه أخوه أبو حفص (٣) ونصب المجانيق على القصبة وحاصروها حصارا محكما فاستصرخ النصارى ملكهم الفونسو (٤) السابع فأقبل الى نصرتهم على رأس جيش من ١٢ ألف مقاتل ، وانضم اليه حليفه ابن مردنيش في قوة من ٦آلاف مقاتل ، فاضطر السيد أبو سعيد عثمان طلب المدد من الخليفة فوجه اليه القائد الكاتب أبا جعفر

---

(١) البيذق ١٢٦•

(٢) المراكشي ، ص ٢١٠ ، المقرى النفح الطيب ، ج٦/ ٣٠٦ •

(٣) المقرى : نفح الطيب ، ٦/ ٢٠٧•

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة في اخبار غرناطة، ج١ ، ص ٢٧٩•

بن عطية ومعه الأمير أبو يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن والي اشبيلية فازدادت قوّة الموحدين بقدومه ، فانسحب ابن مردنيش (١) ، وولى عسكر الفونسو تاركين حامية المرية ومات الفونسو في طريقه الى بياسة ، وخلا الجو الى الموحدين ، واستولوا على المدينة (المرية) سنة ٥٥٢هـ ٠

وفي عام ٥٥٥هـ اجتاز عبدالمؤمن من طنجة الى الاندلس وأقام شهرين ، اشرف خلالهما على احوال الاندلس و وأمر بغزو عرب الاندلس، فسيّر الشيخ أبا محمد عبدالله بن أبي حفص من قرطبة ففتح حصن أطرفكش من احواز بطليوس ٠ واستولى الموحدون على يطليوس وباجه ويابرة وحصن القصر ، ثم عاد عبدالمؤمن ثانية الى مراكش (٢)٠

وهكذا تدخلْ الموحدون في الاندلس عسكريا منذ سنة ٥٤١هـ وخلال خمسة عشر سنة تمت لهم السيطرة والنفوذ على الاندلس ٠

عاد عبدالمؤمن الى حاضرته مراكش بعد ان جدد فتح المغربين الادنى والاوسط ، عام ٥٥٥هـ ، وفي سنة ٥٥٦هـ/ ١١٦١م ، بلغ عبدالمؤمن أُن ابن همشك وابن مردنيش ومدار الأقرع قد هاجموا اشبيلية مع حشود كبيرة من النصارى ، وأن ابنه أبا يعقوب قد هزم عندما حاربهم ، وكما بلغه هزيمة ابنه أبي سعيد عثمان في غرناطة ٠

لقد دفع هزيمة ابنه عبدالمؤمن الى التوجه نحو الاندلس ، فخرج الى سلا ، وأعّد جيشا ضخما للجهاد ، واجتاز جبل طارق ، وسارت

---

(١) المقري : نفح الطيب ، ٢٠٧/٦٠

(٢) روض القرطاس ، ص ١٣٠ ٠

عساكره الى غرناطة فلما سمع بمقدمه ابن مردنيش وابن همشك هربا ، ودخل الموحدون غرناطة .

عاد ثانية عبدالمؤمن الى سلا حيث مرض ، وتوفي في ٢٧ جمادى الآخرة ٥٥٨هـ/ ١١٦٣م ، ودفن في تينملل بجوار قبر المهدى (١) .

وكان عبدالمؤمن من رجال العلم المعدودين ، فقد كان فصيح اللسان عالما بالجدل ، متفقها في علم الأصول ، حافظا للحديث ، متبحراً في العلوم الدينية والعقلية ، اماما في النحو واللغة والقراءات ، ملما بالتاريخ والسير ، أديبا شاعرا ، وقد اختار عبدالمؤمن كتابه من ادباء عصره كأبي جعفر بن عطية وأبي الحسن بن عياش ، واتخذ وزراءه من العلماء النابهين كعبدالسلام بن محمد الحومي وأبي جعفر بن عبد المؤمن ، واتخذ قضاته من الفقهاء النابهين كأبي عمران موسى بن سهل وأبي يوسف حجاج بن يوسف وأبي بكر بن ميمون القرطبي (٢).

أبو يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن ٥٥٨ ـ ٥٨٠هـ/ ١١٦٣ ـ ١١٨٤م :

عندما توفي عبدالمؤمن خلفه ابنه الاكبر محمداً، وبايع الناس له ، فتولى الخلافة ٤٥ يوما ، ثم عزل عنها واجمعت آراء شيوخ الموحدين على مبايعة أبي يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن (٣)، .

ولا شك أن موت عبدالمؤمن قد أصاب الموحدين بتصدع، والحاجه ماسة الى اعادة جمع كلمة الآمة واعادة وحدتها ، وهذا لا يتم الآ بفهم

(١) البيذق ، ص ١٢١ .

(٢) ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ج٢ ، ص ١٧٠ ـ ١٧٢ .

(٣) المراكشي : المعجب ، ص ٢٣٦ .

عميق للاوضاع الاجتماعية والسياسية وما أصابها من تخلخل .

وقيض الله لأبي يعقوب القاضي أبي الحجاج الذي كان يتمتع برجاحة عقل وفهم للأمور فتعاون مع ابي يعقوب في سياسة الدولة، وجمع الاموال الضخمة ، وشراء السلاح وتدريب الجند ، وما أن اكتملت استعداداته حتى أخذ يقضي على خصومه ، فقضى على ثورة " مَزْدَغ" الغُماري الصنهاجي الذي تبعه خلق كثير من غمارة وصنهاجة وأُوربة، ودخل أبو يوسف مدينة نازا (١) بعد أن قتل الثائر ، وكان ذلك عام ٥٥٩هـ/ ١١٦٤م .

وفي سنة ٥٦٢هـ/ ١١٦٧م ثار سبع بن منغفاد بجبال غمارة فسير اليه أبو يعقوب قائده الشيخ أبا حفص ، ولكن هذا القائد لم يستطع أن يخمد الثورة ، فاضطر أبو يعقوب بنفسه الى الخروج ، وضم اليه أبا حفص ، فهزم الثائر واستأصل شأفته وقتل سبع .(٢)

ولعل من أخطر الخارجين على سلطة الموحدين في الاندلس كان ابن مردنيش ، الذي حشد قواته من المعادين للموحدين في الاندلس ، ومن حالفه من القشتاليين والارغونيين ثم أغار على قرطبة ، فسيّر اليه أبو يعقوب السيد أبا سعيد من غرناطة وأبا حفص في جيوش ضخمة من الموحدين ومن انضم اليهم من قبائل العرب ، والتقى الطرفان في مرسية فانهزم ابن مردنيش وأصحابه وفرّ الى مرسية ونازله الموحدون بها ، ثم

---

(١) ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ج٢ ، ص ١٨٤ .

(٢) ابن خلدون : تاريخ ، ج٦ ، ص ٤٩٧ .

عاد كل من أبي حفص وأبي سعيد الى مراكش بعد ان هدأت الاحوال الى مراكش سنة ٥٦١/ ١١٦٦ ٠

جهاد أبي يعقوب في الاندلس واستشهاده في شنترين ٥٨٠/ ١١٨٤م :

بلغ أبا يعقوب قيام ملك ليون (فرديناند) بغزو منطقة وادى آنة ، وأن ملك البرتغال (الفونسو هنريكي) يوسع حدود دولته الجنوبية والشرقية على حساب بلاد المسلمين ، واستولى على ترجاله، وبايرة وحصني شيرنة ، وجلمانية الواقعتين ازاء بطليوس (١) ٠

سيّر أبو يعقوب الشيخ أبا حفص في عساكر كثيفة من الموحدين، وسار لاستنقاذ بطليوس من ملك البرتغال ، ولكن أبا حفص لم يتابع سيره ، فقد بلغه في اشبيلية أن أهل بطليوس هزموا ملك البرتغال ٠

وفي سنة ٥٦٦هـ/ ١١٧١هـ توافدت حشود مقاتلة من العرب ،قدمت من افريقيا في صحبة والي بجاية (السيد أبو زكريا) ووالي تلمسان (السيد أبو عمران)٠ طالبين منه الجهاد ، فعبر بهم جبل طارق في صفر ٥٦٦هـ/ ونزل بعاصمته اشبيلية ، وكتب لأخيه عثمان (والي غرناطة) بالسير الى مرسية قاعدة ابن مردنيش حيث التقيا معا في موقعة الجلاب على بعد أربعة آميال من مرسية ، فانهزم ابن مردنيش ، وتحصن بمرسية ، فحاصره الموحدون ، وفي اثناء الحصار استولى الموحدون على لورقة وبسطة وتوفى ابن مردنيش وهو محاصر في رجب سنة ٥٦٧هـ/١١٧٢ م فدخل ابنه هلال في طاعة الموحدين(٢)٠ وسلم لهم

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ، ج٦ ، ص ٤٩٩ ٠

(٢) المراكشي: المعجب، ص ٢٤٩٠ ابن خلدون : تاريخ ، ج٦، ص ٥٠٠ ٠

حصون أبيه وهي بلنسية ومرسية وشاطبة ، ولورقة ، وقرطاجنة .

مكث أبو يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن ، أربعة أعوام ، نظم خلالها عدة حملات ضد البرتغاليين والقشتاليين .

وفي سنة ٥٦٧هـ/١١٧٢م خرج من اشبيلية الى جنوب البرتغال في جيش ضخم وحاصر شنترين ، ثم سار الى القنطرة متبعا طريق بطليوس والبكرك ، واستولى عليها ، ثم عاد الى اشبيلية مثقلا بالغنائم وفي عام ٥٦٨ ، ٥٦٩ أغار على قلعة رباح وأثخن في بلاد قشتالة ثم عاد الى اشبيلية ، وقد أقام في الاندلس كثيرا من المنشآت الرائعة كالمسجد الجامع ، والجسر والقصبة ، والارصفة على الوادي الكبير .

ساءت الاحوال في الاندلس ، فقد تمكن القشتاليون بمساعدة ملك (الفونسو الثاني) من الاستيلاء على فونكة (٢) . وأخذت ضربات تتوالى على الاندلس ، وكانت مملكة البرتغال أشد هذه وطأة على بلاد المسلمين .

قرر أبو يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن عبور الاندلس وذلك في سنة ١١٧٣م ، ورأى المبادرة بمهاجمة مملكة البرتغال ، فزحف بجيوش الاندلس مثل كثرتها ، وسار الى شنترين ، وحاصرها ، وكان ملك (هنريكي) قد تأهب لذلك الحصار فملأها بالاقوات والسلاح أبو يعقوب في التضييق عليها ، وقطع المواد والعدد عنها ، البرد اقترب وخاف المسلمون منه ، وخافوا ان يفيض نهر تاجة

سالم : المساجد والقصور بالاندلس ، ١٩٠ .

يوسف اشباخ : تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ص ٣٢١

فلا يستطيعون عبوره وينقطع عنهم المدد ، فأشاروا على أمير المؤمنين بالرجوع الى اشبيلية ٠

ويبدو أن الخليفة يئس من فتح شنترين بعد ان طال حصاره لها دون جدوى ، فأراد أن يحاصر مدينة أخرى ، هي مدينة أشبونة ٠ ويظهر أن بعض رجاله عجل بتقويض الاخبية تمهيدا للرحيل ، وهذا أحدث هرجا في المعسكر فاندفعوا بدون انتظام نحو الجسر ، فلما رأى البرتغاليون ذلك وشاهدوا رحيل معظم جيش المسلمين، وأصبح أبو يعقوب باعداد قليلة ، اغاروا على معسكره ، فقتل عدد كبير من كبار رجال الجيش ، وأصيب الخليفة بسهم مسموم ، وتدارك الناس حين سمعوا صرخات الجنود ، وأقبلوا يحمون الخليفة ، لكن الخليفة حمل جريحا ، ثم مات بعد ليلتين في ٧ رجب سنة ٥٨٠ هـ/١١٧٤م وحملت جثته الى اشبيلية ، ثم أرسلت الى تينملل حيث دفن بجوار أبيه عبدالمؤمن (٢)٠

ان غزوات أبي يعقوب ضد الفرنج في الاندلس لم تعرف الفتور، فقد أعاد اليها الحدة التي عرفت عليها في بداية الموحدين ، فقد حاول سنة ٥٨٠هـ/ ١١٧٤م الاستيلاء على البرتغال فأخفق في محاولته ، وقد اعاد للاسلام مجده العسكري ، وأعطى التضحية والجهاد عمقا جدا ، عندما سقط شهيدا وسط المعركة ٠

ويعتبر يوسف بن عبدالمؤمن من أعظم خلفاء الموحدين

---

(١) المراكشي : المعجب ، ص ٢٥٨٠

(٢) المصدر نفسه ص ٢٩١ ٠

حبّـا للعلم ولأهله ، وتقديرا لرجاله ، كما أنه كان ملما بكلام العرب حافظا لأيامها ومآثرها وأخبارها (١) ٠

وكان من أحسن الناس قراءة للقرآن وحفظا للغة ، وتبحراً في النحو ، وكان له اضطلاعا في الفلسفة والفلك والطب ، وقد جمع مكتبة قيمة (٢) ٠

وقد عاش في بلاطة عدد من العلماء كابن باجة ، وابن طغيل ، وابن رشد ، وابن زهر والفقيه أبو بكر بن الجد ، وقد كانت مراكش في عهده من أهم مراكز الثقافة الاسلامية في العلوم والآداب والفنون٠

يعقوب " المنصور" بن يوسف بن عبدالمؤمن ٥٨٠هـ/ ١١٨٤ ـ ١١٩٩م :

ولد أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن من أم ولد رومية تسمى " ساحر" وقد اخذت له البيعة في حياة أبيه (٣) ، وقد استوز يعقوب ابن أبي حفص الهنتاني ، وقلّد أخاه يحي بن يوسف بن المؤمن قيادة الجيش الموحدى في الاندلس (٤)٠

واجه يعقوب في اوائل عهده مشكلتين :

الاولى : قيام ابن غانية في وجهه بقيادة علي بن اسحق بن غانية من جزيرة ميورقة ، وقد وجد هؤلاء لهم خلفاء في افريقيا ٠ جمعتهم بهم الظروف السياسية وهم بنوهلال وسليم والمماليك الغز ، كما انضم مماليك مصر لهم ، وقام علي بن اسحق فاستولى على قلعة حماد وما

(١) المراكشي: المعجب ، ص ٢٣٧ ـ ٢٤٠٠
(٢) السلاوى : الاستقصا ، ج٢ ، ص ١٤٠٠
(٣) المراكشي: المعجب، ص٢٣٧ـ٢٤٠(ويرى ابن أبي زرع ان الموحدين بايعوه بعد وفاة أبيه : السلاوى: الاستقصا ج٢ / ١٤٢٠
(٤) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام ، ج٤ ، ص ٢٢٤ ٠

يجاورها من القلاع ، ثم استولى على كل افريقيا عدا تونس والمهدية (١) ٠

سير الموحدون لمحاربة ابن غانية جيشا ، فقد أرسل السيد أبا زيد ابن عم الخليفة ابنه السيد أبا حفص ، وعقد لمحمد بن أبي اسحق بن جامع على الأساطيل بقيادة أبي محمد بن عطوش وأحمد الصقلي ٠

وتمكن السيد أبو زيد من اخراج ابن غانية من ملياتة ، وتمكن الصقلي من الاستيلاء على الجزائر وأسر يحي بن طلحة وبدر بن عائشة ، وتقدم الاسطول بقيادة الصقلي الى بجاية فدخلها ففر يحي بن غانية الى أخيه اسحق ومايزال يحاصر قسنطينة فأقلع عنها ، فهرب الى الصحراء ، ولما رده الموحدون الى مقره ونقاوس من بلاد الزاب ، ثم عادوا الى بجاية (٢) ٠

أما ابن غانية فقد زحف الى قفصة واستولى عليها ، وحاصر تنوزر فاستغصت عليه ومضى الى طرابلس فتحالف مع قراقوش العربي المظفرى ضد الموحدين ، واستمالا قبائل بني سليم ٠

بلغت الاخبار يعقوب المنصور ، فخرج بنفسه الى مراكش سنة ٥٨٢هـ/ ١١٨٦م وهو عازم على القضاء على ابن غانية وحلفائه واسترجاع نفوذه في افريقيا ، فمّر في طريقه الى افريقيا بفاس والرباط وتازى وقونس وأقام بتونس ، وسير من هناك جيشا بقيادة السيد أبي

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ، ج٦ ، ص ٥٠٦ ٠

(٢) المصدر نفسه ص ٥٠٨ ٠

يوسف يعقوب بن ابي حفص عمر بن عبدالمؤمن ومعه عمر بن أبي زيد لمحاربة ابن غانية ، فاشتبك الجيشان في عمرة ، فانتصر جيش ابن غانية وهزم الموحدون ، وقتل ابن أبي زيد وأبو علي بن يعمور وفرّ فلول الموحدين الى قفصة . لمّ يعقوب المنصور شعث جيش الموحدين والتقى مع علي بن غانية في حامية وقيوس ، فانهزم ابن غانية ، وتمكن المنصور من استرجاع قابس وتوزر ، وقفصة ، ثم قفل عائداً الى المغرب(١)

موقعة ألارك ٣ شعبان ٥٩١/ ١١٩٥ :

أما المشكلة الثانية التي واجهت يعقوب المنصور ، فهو تمرد نصارى الاندلس وطمعهم في املاك المسلمين في هذه البلاد ، فقد توّغل البرتغاليون بعد شنترين بعد مقتل أبي يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن في غرب الاندلس ، هذا الى جانب امراء المسلمين الذين كانوا يتحينون الفرص لانشاء امارات مستقلة وحكومات منفصلة ، كما لا ننسى رغبة يعقوب محو عار الهزيمة التي لحقت الجيش الاسلامي ، هذا اذا اضفنا اصرار يعقوب على اظهار مدى قدرة المسلمين على مناهضة الكفر بل واحراز النصر الحاسم عليهم (٢).

هذه الاسباب وغيرها دفعت أبو يوسف يعقوب الى عبور الاندلس في ٣ ربيع الاول سنة ٥٨٥هـ ، فسار مباشرة بجيشه الى شنترين وأشبونة لينتقم لهزيمة ومقتل أبيه ، فأحرق القرى ونهب الضياع ، وسبى

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ، ج٦ ، ص ٣٩٦ ، ٣٩٧ .

(٢) عبدالكريم التواتي : مآساة انهيار الوجود العربي في الاندلس ، ص ٣٧٧ .

كثيرا من أهلها ، ثم عاد الى المغرب (1) ٠

استغل ملك البرتغال دون بدرو بن الفونسو هنريكي عودة أبي يوسف يعقوب ، فعمل على افتتاح مدينة شلب مستعينا بالفرنج فتمكن من دخولها (2) ، ثم أغار البرتغاليون على غرب الاندلس واستولوا على باجة وبايرة سنة ٥٨٦هـ/ ١١٩٠م ٠

غضب ابو يوسف من اعتداءات البرتغاليين على أراضي المسلمين ، فبعث الى رؤساء الاندلس يوبخهم على تقاعسهم ، فقام والي قرطبة (محمد بن يوسف) باستعادة شلب ، وقصر أبي دانس وباجة وبايرة سنة ٥٨٧هـ / ١١٩١ م (3)

وبينما كان أبو يوسف يتأهب في التوجه الى افريقيا ، وردت أخبارا من الاندلس ان ملك قشتالة (الفونسو الثامن) جمع اجناده وشن الغارات على بلاد المسلمين شرقا وغربا ، وقد دافع أهلها ، فأقلع عنها المعتدون ٠

عبر أبو يوسف ثانية الى الاندلس في ٢٠ جماردى الآخرة سنة ٥٩١هـ/ ١١٩٥ فتوجه الى اشبيلية منها الى حصن الفرج ، وفي ١١ رجب سنة ٥٩١هـ خرج حذاء الوادي الكبير حتى وصل قرطبة في ١٩ رجب ولم يزل يسير حتي وصل الى الأرك وهو موضع قريب من مدينة قلعة رباح، وكانت قد خرجت من قلعة رباح ووحاصرها سريسة من فرسان الفرنج

---

(1) روض القرطاس ، ص ١٤٤ ٠

(2) المراكشي : المعجب، ص ٢٨٠ ، اشباخ : ص ٢٣٠٠

(3) ابن خلدون : تاريخ ج٦ ، ص ٥١١ ٠

للتجسس ومعرفة اخبار المسلمين ، فظفرت بهم طائفة من طلائع عسكر الموحدين (١) .

وعندما سمع الغونو بتقدم جيش الموحدين ، توجه نحو طليطلة بجيش ضخم ، ثم مضى نحو الأرك متأهبا لملاقاة الموحدين قبل ان يغيروا على بلاده ، وكان الغونو يشعر بالغرور وحتمية النصر ، فدخل المعركة قبل ان تصل جيوش حلفائه : ملك ليون ، وملك نبره ، بل انه احضر معه تجارا من اليهود لشراء الاسرى المسلمين (٢).

وفي الليلة التي سبقت المعركة طلب منهم أبو يوسف : " الاخلاص لله في النية ، فبكى الناس " ثم قام القاضي أبو علي بن حجاج وخطب في المسلمين يحثهم على الجهاد ، ثم أمرهم أبو يحي بن أبي محمد بن أبي حفص بلباس أسلحتهم والاستعداد من الغد للقاء العدو ، فنظموا صفوفهم أسرابا .

وعندما بدأت المعركة هاجموا القلب حيث الأعلام بقيادة الوزير أبي يحي بن أبي حفص ووراءها قوات الاندلسيين والعرب وزناتة، وصمد قلب الجيش الموحدي، وقاوم الوزير ومن معه مقاومة عنيفة حتى استشهد (الوزير) ، وقال قوم من المطوعة واخلاط الناس الى الميسرة ، فترك أبو يوسف ساقة الجيش ومشى منفردا بين الصفوف يشجع رجاله ويحثهم على مهاجمة العدو ، فاشتد حماس المسلمين وغيرتهم ، وحملوا على القشتاليين ، فانهزم القشتاليون وولوا الادبار،

---

(١) ابن عذاري : ص ٤٣ .

(٢) سالم : المغرب الكبير ص ٨٠٩ .

وتحكمت منهم سيوف الموحدين ونهب المسلمون معسكر النصارى وأفلت الغونو الثامن الى طليطلة ، وتحصن في جيش بحصن الارك وعددهم نحو خمسة آلاف ٠

انتهت المعركة بانتصار المسلمين ، وأسر ثلاثة عشر ألفا من الفرنج ، والقتلى مائة وستة وأربعين ألفا (١) ، واسترد المسلمون عددا من الحصون(ملجون ، كاراكوبل ، قلعة رباح كما دلت على حسن قيادة أبي يوسف يعقوب وشجاعته وحسن توزيعه لقواته ، هذا الى جانب قدرات الجيش المسلم الذي اتقن الخطط العسكرية واتقان الكر والفر واجادة الرماية ٠

وقد دفع النصر العديد من الامراء لعقد المعاهدات مع الموحدين ، فوفد على الموحدين سفراء مملكة ليون لعقد معاهدة تحالف ، وأبدى ملك نبرة رغبة في كسب صداقة الموحدين للدفاع عن مملكته من اطماع ملك قشتالة (٢) ٠

وعندما حل الربيع ، استنفر أبو يوسف قبائل الموحدين من منازلهم ، وخرج في منتصف رجب سنة ٥٩٢هـ/١١٩٦ م وزحف الى حصن منتابخش فاستسلمت حامية الحصن ، ثم مضى الى ترجالة فدخلها دون منازلة ، ومضى الموحدون في زحفهم نحو بلنسية التي سبق وان احتلها الغونو قبل سبع سنوات فافتتحها المنصور وأسر قائدها مع مائة وخمسين من أعيانها فوجههم الى المغرب حيث ساهموا في بناء جامع

---

(١) ابن الاثير : الكامل ، ج١٢ ، ص ٤٩ ٠

(٢) سالم : المغرب الكبير ، ص ٨١٢ ٠

سلا الكبير (١) .

واصلت القوات الاسلامية زحفها فوصلت طلبيرة ، أكبر قواعد طليطلة ، ثم توغل نحو الشمال وحاول الاستيلاء على مكادة، وأخيرا وصل الى ساحة طليطلة ، وشن الغارات على سائر منطقتها ، وأقام على حصارها عشرة ايام اشتبك خلالها عدة مرات مع المدافعين عنها، وانتسف رجاله الزروع والعمران فيما حولها ، ثم بادر بالعودة الى اشبيليا عندما احس بعدم القدرة على افتتاحها .

قضى أبو يوسف المنصور الشتاء في اشبيليا ، وعندما حل ربيع عام ٥٩٣ ، عزم على تجديد الغزو فخرج من اشبيلية الى طليطلة فنزل بقرطبة حتى استكمل استعدادته ، وما كاد يدخل أرض قشتالة حتى بعث اليه الغونو رسالة يطلب المهادنة والسلام ، فصرفهم المنصور من غير جواب . واستمر في طريقه نحو طليطلة ، وهنا اتفق ملك ارغون مع ملك قشتالة ، واجتمعا معا على محاربة المسلمين في حصن نجريط فعزم المنصور في محاربتهما واحاط جيشه بالحصن ، ولكنه عجز عن فتحه ، فلما رأى ملك قشتالة ما حل ببلاده من الخراب والدمار سعى من جديد لطلب السلم والمهادنة ، فأجابه المنصور الى ذلك بعد ان اشترط عليه عدة شروط وهادنه لمدة عشرة اعوام .

ثم اجتاز أبو يوسف في أول جمادى الآخرة سنة ٥٩٤هـ/١١٩٨ منحو المغرب(٢)

ولعل ما يضاف الى امجاد هذا المجاهد تلبيته الى نداء صلاح

---

(١) الحميرى : ص ١٣ .

(٢) نص ابن عذارى من مقال او بيتي ميراند ، ص ٥٥ ، ٥٦ .

الدين الايوبي عندما بعث اليه كتابا رقيقا ، يطلب منه المساعدة في محاربة الصليبيين لاغاثة بيت المقدس سنة ٥٨٣هـ ، فلبى أبو يوسف النداء وأرسل مائة وثمانين سفينة حالت دون استيلاء الصليبيين لسواحل بلاد الشام ، وقد دلل ابن خلدون على تفوق ملوك المغرب على ملوك المشرق في انشاء الأساطيل الجهادية (١)٠

لقد توفي أبو يوسف يعقوب في ٢٢ ربيع الأول سنة ٥٩٥هـ/١١٩٩م بعد ان حمل النصارى على التنازل عن بعض وجودهم للجانب الاسلامي نتيجة السياسة العسكرية التي انتهجها المنصور ، والتي اعطت نتائج باهرة على الصعيد الواقعي في الاندلس ٠

محمد الناصر لدين الله (٥٩٥ ـ ٦١١هـ/ ١١٩٩ ـ ١٢١٤م) :

بايع يعقوب بن المنصور " أبو يوسف ابنه محمد بالخلافة من بعده ثم حددت له البيعة بعد وفاة أبيه في شهر بيع الأول سنة ٥٩٥هـ/ ١١٩٩م ، فلقب نفسه الناصر لدين الله ٠

واجهت محمد الناصر عدة ثورات في المغرب أدّت الى زعزعة كيان المسلمين في الاندلس ٠ وأبرز الثورات في المغرب :ـ

ثورة يحي بن اسحق بن غانية الذى استولى على اكثر بلاد افريقيا مستغلا اشتغال الموحدين بمحاربة القشتاليين في الاندلس (٢)٠

وقد سير له الخليفة محمد الناصر أبا زيد بن أبي حفص الى تونس ثم اردفه بالسيد أبي سعيد بن أبي جفص ، سنة ٥٩٩هـ وتمكن ابن

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ، ج٦ ، ص ٤٩٠ ٠
(٢) المراكشي : المعجب ، ص ٣١٣ ، ٣١٤ ٠

غانية من القبض على أبي زيد فعزم محمد الناصر على السير لمحاربته، فخرج من مراكش سنة ٦٠١هـ ، وأرسل الأسطول الموحدى بقيادة أبي يحيي بن أبي زكريا الهزرجي الى تونس ، فدخلها الموحدون ، ثم نازل الناصر مدينة المهدية بعد حصار استمر أربعة أشهر فاستسلمت المهدية وعاد الناصر الى تونس سنة ٦٠٣ • ثم اشتبك أبو محمد بن أبي حفص مع ابن غانية في تونس بعد جمع اعراب بني سليم ، فاستولى الموحدون على محلاتهم فلجأ ابن غانية الى طرابلس وظل يناوئ سلطان الموحدين في افريقيا وطرابلس طوال عهد الناصر •

وقامت في المغرب الاقصى في بداية حكم محمد الناصر في أول جمادى الاولى سنة ٥٩٥هـ في غمارة ثائر يدعى علودان الغمارى ، وسار الناصر الى جبال غمارة وأخمد هذه الفتنة وعاد الى فاس •

وثار أبو قصبة عبدالرحمن المعروف بابن الجزار في السوس سنة ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م ، وقد تمكن من الانتصار على حامية الموحدين بادئ الأمر، ولكنه سقط قتيلا أمام الجيش الذى أرسله محمد الناصر (٢)•

وفي سنة ٦٠٠هـ/ ١٢٠٤م ثار محمد بن العاضد بجبال ورغة ، وهو من سلالة الفاطميين في مصر ، فألقى محمد الناصر القبض عليه وقتله (٣) •

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ، ج٦ ، ص ٥١٨ ، ٥١٩ •

(٢) المراكشي : المعجب ، ص ٣١٥ ، ٣١٦ •

(٣) السلاوى : الاستقصا ، ج٢ ، ص ٢١٩ •

موقعة العقاب ١٥ صفر ٦٠٩هـ ١٧ حزيران ١٢١٢م :

لم ينس الغونو الثامن هزيمته في الأرك ، فظل يفكر في محو آثارها ، فأخذ يبني القلاع مع الحدود الاسلامية ، ويوطد علاقته مع الامارات الصليبية بالمعاهدات ، والاحلاف ، كما فعل مع ملكي نبرة وأرغون ٠

أغار القشتاليون وحلفاؤهم على بلاد الاسلام ، وخربوا اراضي جيان وبياسة ومرسية ، فلما بلغ الأمر الى محمد الناصر انزعج وأبدى غضبه ، وكتب الى الحكام في بلاد افريقيا والمغرب ، يستنفر المسلمين لغزو الكفار ، فأجابه خلق كثير ، وتسارع الناس من البوادي والامصار خفافا وثقالا ، فاجتاز الى الاندلس في ١٩ من ذي القعدة سنة ٦٠٧ هـ ووصل الى اشبيلية ، وأقام بها للراحة والاستعداد للغزو ، وقسم الجيش الى خمس فرق : فجعل للعرب فرقة ، وزتانة وصينهاجة والمصامدة وغمارة وسائر قبائل المغرب فرقة ٠ والمتطوعة فرقة ، وجند الاندلس فرقة والموحدين فرقة ٠

تحرك الجيش الى بلاد قشتالة في أوائل سنة ٦٠٨هـ فحاصر قلعتين هما اللج وشليطرة ، فاحتل الاولى واستمر في حصار الثانية ثمانية اشهر وما زال الناصر يواصل محاصرة اواصين حتى استسلمت حاميته ، وعاد محمد الناصر الى اشبيلية ظافرا ٠

أحسّ ملك قشتالة بما يدبره الموحدون ، وأدرك نيتهم في مهاجمة طليطلة عاصمة قشتالة ، فاستغاث بنصارى اوروبا وحثهم على حماية

---

(١) المصدر نفسه ٢٢٠ ٠

دينهم ، فاستجابوا له من كل مكان (١) ٠

واستغل اسقف طليطلة " رودريجو خيمنث دى راداهو وأسقف بلنسية تيوتيث دى مينس " في اثارة الناحية الدينية لفتح حرب صليبية دولية داخل اسبانيا ، فأخذا يوفقان بين ملوك اسبانيا المسيحية وتوحيدهم ٠

وتوجه البابا انيوسنت الثالث الى اساقفة فرنسا وبروفانس داعيا الى حملة صليبية واسعة النطاق داخل اسبانيا ، وبارك البابا عدداً كبيرا من الفرسان الوافدين من ايطاليا والماتيا والبرتغال وقطالونيا ٠

واجتمعت جيوش النصارى وزحفت من طليطلة في ٢٠ حزيران سنة ١٢١٢ (٦٠٩) بعد أن توزعت في ثلاثة جيوش ٠

الجيش الاول يقوده فارس قشتالة : دون دييجو لويث دى هارو وعدده حوالي مائة ألف مقاتل ٠

الجيش الثاني يتألف من الأرغونيين والقصلانيين وفرسان الراوية بقيادة الملك بدرو الثاني ٠

الجيش الثالث يتألف من القشتاليين والليونيين والبرتغاليين ، وفرسان قلعة رباح ويقوده الغونو الثامن ملك قشتالة ٠

تقدم الجيش الاول الى ملجون واستولى عليها ، وقتل القشتاليون جميع سكان المدينة ، ثم واصل هذا الجيش زحفه حتى وصل الى قلعة رباح التي تبعد ميلين عن ملجون ، وضربت الحصار على المدينة ، فكتب أبو الحجاج يوسف بن قادس داخل قلعة رباح الى الخليفة يطلب المدد ولكن رسالته كانت تقع بين يدى الوزير ابن جامع الذى كان يخفيها ، وتكررت

(١) الحميرى : ص ١٣٧٠

(٢) سالم : المغرب الكبير ص ٩٢١ ٠

الرسالة ، وطال الحصار ، وأصبح السكان في حالة استحالة المقاومة ، فصالح أبو الحجاج الفونسو على تسليم الحصن على آن يخرج المسلمون آمنين على أنفسهم (١)٠

ولمّا علم محمد الناصر باستيلاء جيوش الفرنج على قلعة رباح، تألم كثيرا وعزم على مقابلتهم ، واستنفر الناس من أقاصي البلاد فاجتمعت اليه جيوش كثيرة ، ووفد عليه أبو الحجاج يوسف بن قادس فأمر بقتله بسبب تسليمه قلعة رباح للنصارى ، دون ان يسمع حجته٠

وقد أثار قتل أبي الحجاج غضب القادة والجنود الاندلسيين مما سيؤدى الى أسوأ النتائج في اللقاء مع الفرنج ، واخطأ حيثما عزل قادة الكتائب الاندلسيين من جيشه ، وكانوا قد تعودوا على قتال النصارى في الاندلس وعرفوا خططهم القتالية ٠

وصل الناصر الى قرطبة ثم اتجه نحو مدينة جيان ثم واصل سيره في اتجاه بياسة وأبرة ثم نزل في حمص البلوط (٢)٠

زحفت قوّات الغونو جنوبا فاخترقت جبال سيراموريتا في ١٢ صفر سنة ٦٠٩هـ/ ١٤ تموز ١٢١٢ م وانسابت في احد وديان نا فاس ، وسماها العرب بالعقاب نسبة الى حصن اموى قديم ٠

اشتبك الجيشان في ١٥ صفر في قتال عنيف سرعان ما انجلى عن سيطرة الفرنج على المعركة ، فعندما تقدم المتطوعة استشهدوا بينما عساكر الموحدين والعرب والاندلس ينظرون اليهم ، ولما حمل الفرنج

---

(١) السلاوى : الاستقصا ، ج٢ ، ص ٢٢٢ ٠

(٢) حمص البلوط : يقع بين جيان وقلعة رباح ٠٠

على عساكر الموحدين والعرب فرّت قوات الاندلس وجيوشها كانوا قد حقدحقدوه ، وبذلك سببوا الهزيمة للمسلمين •

انقضّ النصارى المنتصرون على المدن الاندلسية المجاورة لحصن فاستولوا على بانيوس وكاستر وتواسوسا وبياسة وبسطة •

ولعل من أهم نتائج موقعة العقاب ، فعلى الرغم من استشهاد خمسة وثمانين ألفا من المسلمين ، فقد تسربت الروح الانهزامية أفراد الجيش المسلم ، والاّ فأين الأهداف النبيلة التي كانت الجيوش الاسلامية القوّة والمنعة في الفتوحات الاسلامية الاولى•

ولم تقف آثار الموقعة على ما تقدم ، وانما تعدت عواقبها الى ما هو أخطر من ذلك ، فقد فقدوا بسببها ايمانهم بقدرتهم على الجهاد والكفاح ضد نصارى اسبانيا •

وأدت موقعة العقاب الى بداية الانهيار للموحدين كدولة مرهوبة الجانب قوية الدعائم موطدة الاركان في الاندلس •

وبالتالي كانت الهزيمة ضربة شديدة للوجود العربي في الاندلس، فقد زعزعت ايمانهم بقدرتهم على الصمود طويلا طالما هم ضعاف ، ولم يستطيعوا اعادة القوّة والوحدة ثانية [1] •

انهيار دولة الموحدين :

تبين لنا مما تقدم أن وقعة العقاب رد فعل الاسبانيين على وقعة الأرك ، وكان الذى شجع الاسبان على الاستماتة تهافت الجيوش الاسلاميـ

(١) عبدالكريم التواتي : مآساة انهيار الوجود العربي في الاندلس ص ٣٩٠•

وقادتهـا على الحرص على الدنيـا ، فانتشـرت بينهم حبهـم للـترف والبـذخ مما افسـد نفوسهـم نحـو الجهـاد ففي الوقـت الـذى كان المسلمـون يسيـرون نحـو التفكـك والانحـلال كان الفرنـج بقيـادة وتوجيـه الكنيسـة الرومانيـة نحـو التضامـن والاتحـادويتهيؤون للانقضـاض في الشـرق والغرب (١) فالعقـاب كان الواقعـة المشؤومـة التي لم يقم للمسلميـن بعدهـا قائمـة تحمـد ، فقـد استولـى النصارى بعدهـا على أكثـر مدن الاندلـس •

عـاد محمـد الناصـر بعـد معركـة العقاب حزينـا لهزيمتـه ، واحتجب في قصـره بمراكـش بقبـة عـام ٦٠٩هـ وتوفـي في ٤ شعبـان من سنـة ٦١٠هـ اى بعد سبعـة اشهـر من الهزيمـة •

فتولـى من بعـده أبو يعقـوب بن محمـد الناصـر وكان عمره ١٦ سنـة ، وهـو أول الخلفـاء الموحديـن الضعـاف فحكم حتى توفـي سنـة ٦٢٠هـ في عهـده انبعثـت الشـورات والفتـن وكثـر الخارجـون في انحـاء البـلاد ، وزاد الاضطراب بعـد وفاتـه فاجتمـع النـاس على تقديـم عبدالواحـد بن يوسـف بن المؤمـن (٦٢٠هـ/ ٦٢١هـ) وفي عهـده زاد تفرق أمـر الموحديـن فاستقـل أبو محمـد عبد اللـه بن يعقـوب المنصـور بالاندلـس ، وتلقـب بالعادل وأيـده بعض أعيـان الموحديـن فخلعـوا عبدالواحـد ، هكـذا اخـذ الـولاة يخرجـون على الخلفـاء لضعفهـم ، وكانـت الدولـة تسيـر من ضعـف الى ضعـف ويعـود سبـب انهيـار الدولـة الى الأسبـاب التاليـة (٢) •

١ ـ الضعـف الحربي والسياسي والنفسي الـذى منيـت بـه الدولـة الموحديـة بعـد هزيمتهـم في موقعـة العقـاب •

٢ ـ فوضى الادارة في الدولـة الموحديـة ، وتفكـك وحدة قبائـل الموحديـن •

---

(١) عبدالكريم التواتي : مأساة انهيار الوجود العربي في الاندلس ، ص ٣٩٣ •
(٢) عبدالعزيز سالم : المغرب الكبير ، ج٢ ص ٨٢٨ •

٣ ـ كثرة غارات العرب الهلالية والمماليك المستمرة وما احدثوه من اضطرابات في نواحي الدولة الموحدية .

٤ ـ استنفاد قوى الموحدين في ايقاف مد التوسع المسيحي في الاندلس الاسلامية منذ النصف الثاني من القرن السادس الهجري .

٥ ـ بعثرة قوى الموحدين واستهلاك قوتهم في حركة بني غانية في المغرب .

٦ ـ ضعف الخلفاء المتأخرين الذين تولوا بعد محمد الناصر ، وازدياد نفوذ رجال الادارة والولاة والصراع بين امراء للبيت الحاكم " عبدالمؤمن" من أجل الظفر بالخلافة .

الفصل الرابع

عصر الدويلات في المغرب

- أمراء بنو مرين
- دولة بني مرين
- أمراء بنو عبدالواد (بنو زيان)
- دولة بنو عبدالواد (بنو زيان)
- أمراء بني حفص •
- الدولة الحفصية •

أمـــراء بنــــو مريـــــن

---

١ ـ عبد الحـــق أبـي خالـد محيـــو ٥٩١ ـ ٦١٤ هـ / ١١٩٥ ـ ١٢١٧ م

٢ ـ عثمـان بـن عبدالحـق (الاول) ٦١٤ ـ ٦٣٨ هـ / ١٢١٧ ـ ١٢٤٠ م

٣ ـ محمـد بـن عبدالحـق (الاول) ٦٣٨ ـ ٦٤٢ هـ / ١٢٤٠ ـ ١٢٤٤ م

٤ ـ أبوبكـر بـن عبدالحـق ٦٤٢ ـ ٦٥٦ هـ / ١٢٤٤ ـ ١٢٥٨ م

٥ ـ يعقوب بـن عبدالحـق ٦٥٦ ـ ٦٨٥ هـ / ١٢٥٨ ـ ١٢٨٦ م

٦ ـ يوسـف بـن يعقـوب ٦٨٥ ـ ٧٠٦ هـ / ١٢٨٦ ـ ١٣٠٦ م

٧ ـ عامـر بن أبي عامر بن يوسف ٧٠٦ ـ ٧٠٨ هـ / ١٣٠٦ ـ ١٣٠٨ م

٨ ـ سليمان بن أبي عامر بن يوسف ٧٠٨ ـ ٧١٠ هـ / ١٣٠٨ ـ ١٣١٠ م

٩ ـ عثمان بن يعقوب (الثاني) ٧١٠ ـ ٧٣٠ هـ / ١٣١٠ ـ ١٣٣١ م

١٠ـ علي بـن عثمـان ٧٣١ ـ ٧٤٩ هـ / ١٣٣١ ـ ١٣٤٨ م

١١ـ فارس بـن علـي ٧٤٩ ـ ٧٥٩ هـ / ١٣٤٨ ـ ١٣٥٨ م

١٢ـ محمـد بـن فـارس ٧٥٩ هـ / ١٣٥٨ م

١٣ـ محمـد السعيد بـن فـارس ٧٥٩ ـ ٧٦٠ هـ / ١٣٥٨ ـ ١٣٥٩ م

١٤ـ ابراهيم بن علي بن عثمـان ٧٦٠ ـ ٧٦٢ هـ / ١٣٥٩ ـ ١٣٦١ م

١٥ـ تاشقين بـن علـي ٧٦٢ ـ ٧٦٣ هـ / ١٣٦١ م

١٦ـ عبدالحليم بن عمر بن عثمان ٧٦٣ ـ ١٣٦١ م

٢٧ـ محمد بن أبي عبدالرحمن بن علي (الثاني)

٧٦٣ ـ ٧٦٨ هـ / ١٣٦١ ـ ١٣٦٦ م

١٨ـ عبدالعزيز بن علي ٧٦٨ ـ ٧٧٤ هـ / ١٣٦٦ ـ ١٣٧٢ م

١٩ـ محمد بن عبدالعزيز (الثالث) ٧٧٤ـ ٧٧٦ هـ / ١٣٧٢ ـ ١٣٧٤ م

٢٠ ـ أحمد بن ابراهيم وعبدالرحمن بن أبي بفلويش بن عمرو حكما معا ثم انفرد أحمد بن ابراهيم بالحكم بعد ثماني سنوات ـ ٧٧٦ ـ ٧٨٦ هـ / ١٣٧٤ ـ ١٣٨٤ م •

٢٠ـ موسى بن فارس ٧٨٦ ـ ٧٨٨ هـ / ١٣٨٤ ـ ١٣٨٦ م •

٢٢ ـ المنتصر بالله بن أحمد ٧٨٨ هـ / ١٣٨٦ م •

٢٣ ـ محمد الرابع بن أبي الفضل بن علي

ـ ٧٨٨ ـ ٧٨٩ هـ / ١٣٨٦ ـ ١٣٨٧ م •

٢٤ ـ أحمد بن ابراهيم ـ تولى مرة ثانية

ـ ٧٨٩ ـ ٧٩٦ هـ / ١٣٨٧ ـ ١٣٩٣ م •

٢٥ ـ أبوفارس بن أحمد ٧٩٦ ـ ٧٩٩ هـ / ١٣٩٣ ـ ١٣٩٦ م •

٢٦ ـ عبدالعزيز بن أحمد ٧٩٩ ـ ٨٠٠ هـ / ١٣٩٦ ـ ١٣٩٧ م •

٢٧ ـ عبدالله بن أحمد ٨٠٠ ـ ٨٠١ هـ / ١٣٩٧ ـ ١٣٩٨ م •

٢٨ ـ عثمان بن أحمد (الثانى)

٨٠١ ـ ٨٣١ هـ / ١٣٩٨ ـ ١٤٢٧ م •

٢٩ ـ عبدالحق بن عثمان (الثاني)

٨٣١ ـ ٨٧٦ هـ / ١٤٢٧ ـ ١٤٧١ م •

ثم جاء بنو وطاس من ٨٧٦ ـ ٩٥٧ هـ / ١٤٧١ ـ ١٥٥٠ م •

وفي زمنهم سقطت دولة المسلمين بالاندلس •

١ ـ ١ أبوعبدالله محمد الاول

٨٧٦ ـ ٩٠٧ هـ / ١٤٧١ ـ ١٥٠١ م •

٢ ـ ١ الشيخ البرتقالي محمد الثانى

٩٠٧ ـ ٩٣٦ هـ / ١٥٠١ ـ ١٥٢٩ م •

٣ ـ ١ أحمد بن محمد الثاني

٩٣٦ ـ ٩٥٧ هـ / ١٥٢٩ ـ ١٥٥٠ م

٤ ـ ١ محمد الثالث بن أحمد

٩٥٧ هـ / ١٥٥٠ م

مقدمه

ترتب على انهيار دولة الموحدين انانقسم المغرب الاسلامي في القرن السابع الهجري الى ثلاثة دول بربرية مستقلة ، فقد استغل بنوحفص المصامدة - الذين كانوا ولاة افريقية في عصر الموحدين فرصة احتضار هذه الدولة ، وأعلنوا استقلالهم في عهد أميرهم أبي زكريا الحفصي وقد اعترف أهل طنجه وسبته وبعض مدن الاندلس بهذه السلطنة • بينما استقل بنو عبدالواد بالمغرب الاوسط وانفصل المغرب الادنى والاوسط عن دولة الموحدين بسهولة • في حين تكلف بنو مرين ثمن ارتقائهم الى السلطان غاليا • فكان عليهم ان يخوضوا حروبا طاحنة مع الامراء الموحدين في عصر الاضمحلال ، استمرت أكثر من نصف قرن انتهت بدخول بني مرين في النهاية مدينة مراكش •

---

(١) عبدالعزيز سالم : تاريخ المغرب الكبير : في العصر الاسلامي ، ج٢ - الدار القومية للطباعة والنشر : الاسكندرية - ١٩٦٦

دولـــة بنـو مريـــن

ينتسب المرينيون الى مرين بن ورتاجن بن ماخوخ الزناتي[1] ، وكانت دولتهم تسمى أحيانا بالدولة المرينية وأحيانا الدولة الوطاسية نسبة الى وطاس بن فجوس بن جرماط بن مرين .

وسكن بنو مرين في منطقة الزاب بجبل يقال له جبل زناته أو جبل ايكيجان . وهم قوم أشداء يعيشون حياة قبلية أقرب الى حياة الصيد والصحاري ، وتعد الفروسية والغارات من دعامات حياتهم البدوية[2] .

وكان أمير بني مرين في عهد يعقوب المنصور أمير الموحدين هو أبوخالد محيو بن أبي بكر بن حمامة ، وقد ساهم المرينيون في معركة الارك عندما استنفرهم أبويوسف يعقوب الى الجهاد ، ، وأبلوا فيها بلاء حسنا ، وقد قتل سيدهم أبوخالد في صحراء الزاب ٥٩١ هـ / ١١٩٤م[3] ، فخلفه ابنه عبدالحق ، ودخل المرينيون في عهده بلاد المغرب الاقصى وأقاموا فيها سنة ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م عندما لمسوا ضعف أمير الموحدين يوسف المستنصر وسوء تدبيره للامور[4] ، وبدأوا بالاغارة على أملاك الموحدين الذين تعرضوا

---

(١) ابن خلدون : العبر ، ج٧ ، ص ١٦٦ .

(٢) أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الاسلامي ، ج٤ ، ص ١٥٣ .

(٣) ابن خلدون : العبر ، ج٧ ، ص ١٧٦ . ـ عبدالعزيز سالم : المغرب الكبير ص ٨٦٨ .

(٤) ن م ، ج٧ ، ص ١٦٩ .

لاعتداءات من بني حفص في تونس وبني زيان في تلمسان ، هذا بالاضافة الى العدو الاكبر ، وهم الافرنج في الاندلس .

ووجد نوع من التعاون بين بني حفص وبني مرين حتى ان المرينيين كانوا يحاربون الموحدين باسم بني حفص ، وتمكن الحفصيون من اقامة دولتهم بتونس واستمروا يمدون بني مرين بالمال والعتاد حتى استطاعوا اقامة دولتهم في المغرب ،فاعلنوا استقلالهم ، وأخضعوا مراكش عاصمة الموحدين لسيادتهم .

وعندما بدأت الغارات المرينية على بلاد المغرب ، شكا الناس الى المستنصر الموحدى فعزم على محاربتهم ، والتقى بهم سنة ٦١٣ هـ / ١٢١٦ م في وادى نكور ، وهزم الموحدون [١] ، وتوالت الحروب بينهما فالتقوا مرة أخرى سنة ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م بالقرب من وادى سيبو ، وفي هذه المرة قتل الامير عبدالحق وابنه ادريس ، فصمم المرينيون على الثأر له ، وتابعوا هجومهم على أراضي الموحدين ، فحققوا انتصارات مسحت ماحل بهم من هزيمة سنة ٦١٤ هـ .

وخلف عبدالحق ابنه أبوسعيد عثمان ، الذى استغل ضعف الموحدين وبدأ يدعو قبائل المغرب على الدخول في طاعته ، فدخلت قبائل كثيرة في طاعة المرينيين منهم قبائل الهوارة ، وزكارة ، وتسول ، ومكناسة ، وفرض على أهل فاس ومكناسة وتازى وقصر كتامه ضريبة لوقف غاراته عليها [٢] .

---

(١) ابن خلدون ، العبر ، ج٧ ، ص ١٦٩ .

(٢) ن . م ، ج٧ ، ص ١٧٠ .

واغتيل عثمان سنة ٦٣٨ هـ / ١٢٤٠ م فخلفه أخوه أبو معرف محمد الذى تمكن من الانتصار على جيش الرشيد بن المأمون قرب مكناسه ، الا أن بني مرين تعرضوا لهزيمة قاسية من السعيد بن المأمون سنة ٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م ولاذوا بجبال غياثه [١] . من نواحي تازى .

ثم عادوا واحتلوا مكناسة في العام التالي ، كما تمكن أبوبكر بن عبدالحق من افتتاح حصن ملويه سنة ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م ، وانتزع مدينة فاس وحاول النصارى الاسبان في عهد أبي يوسف يعقوب بن عبدالمؤمن الاستيلاء على سلا فردهم عنها ، وتمكن من الاستيلاء على مدينة مراكش سنة ٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م [٢] وحل المرينيون محل الدولة الموحدية في المغرب الاقصى [٣] فكانت البداية الحقيقية لدولة بني مرين ، ولعبوا دورا بارزا في مساعدة بني نصر بالاندلس (أصحاب غرناطة) ضد القشتاليين الاسبان .

وخرج السلطان يعقوب بن عبدالمؤمن سنة ٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م من مدينة فاس قاصدا الاندلس ، وتمكن من تحقيق انتصارات كثيرة ، ثم عاد الى فاس سنة ٦٧٤ هـ / ١٢٧٥ م ، وشرع في بناء المدينة البيضاء وجعلها مقرا لدولته

ثم عاد وتوجه الى الاندلس مرة أخرى سنة ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م ، فحاصر اشبيلية ودخل مجموعة من الحصون حيث احتل حصن روطة وحاصر قرطبة وأرجونه وهاجم مدينة جيان ، واستمرت حروبه في الاندلس وعاد اليها مرات عديدة لمواجهة خطر الاسبان الى ان توفى في الجزيرة الخضراء سنة ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م ، فبويع لابنه أبي يعقوب يوسف بن يعقوب . [٤]

---

(١) ن . م ، ج٧ ، ص ١٧١ .

(٢) ابن خلدون : العبر ، ج٧ ، ص ١٨٢ .

(٣) المراكشي ، المعجب ، ص ٣٣٦ .

(٤) عبدالعزيز سالم : تاريخ المغرب ، ص ٧٨٥ .

سار أبويعقوب على سياسة أبيه في مواصلة الجهاد في الاندلس ثم خلفه ابنه عامر بن يوسف بن يعقوب سنة ٧٠٦ هـ / ١٣٠٦ م ، واستطاع بعده سعيد عثمان بن يعقوب من الاستيلاء على المغرب الاوسط بعد ان احتل تلمسان سنة ٧١٤ هـ / ١٣١٤ م من بني عبدالواد وأغاث أهل غرناطة ، ثم استولى بنو مرين على تونس من الحفصيين سنة ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م ، فأصبحت دولتهم تمتد من برقة الى السوس الاقصى والمحيط الاطلسي .

الا ان دولة بني مرين بدأت تضعف حينما تسلم أمرها سلاطين ضعاف ففقدوا المغربين الادنى والاوسط ، كما استولى البرتغاليون على مدينة سبتة سنة ٨١٨ هـ / ١٤١٥ م ، فكان هذا بداية لانهيار دولة بني مرين ؛ ثم استولى البرتغاليون على جزء كبير من ساحل المغرب واحتلوا طنجة سنة ٨٦٩ هـ / ١٤٦٤ م ، واقتصرت الدولة المرينية على فاس الى ان سقطت على يد الاشراف السعديين سنة ٩٥٦ هـ / ١٥٤٩ م .[1]

---

(١) عبدالعزيز السالم : تاريخ المغرب ، ص ٧٨٦ .

أمراء بنو عبدالواد (بنو زيان)

---

١ ـ يغمراسن بن زيان ٦٣٣ ـ ٦٨١ هـ / ١٢٣٥ ـ ١٢٨٢ م •

٢ـ عثمان الاول بن يغمراسن ٦٨١ ـ ٧٠٣ هـ / ١٢٨٢ ـ ١٣٠٣ م •

٣ ـ محمد الاول بن عثمان ٧٠٣ ـ ٧٠٧ هـ / ١٣٠٣ ـ ١٣٠٧ م •

٤ ـ موسى الاول بن عثمان ٧٠٧ ـ ٧١٨ هـ / ١٣٠٧ ـ ١٣١٨ م •

٥ ـ عبدالرحمن الاول بن موسى ٧١٨ ـ ٧٤٩ هـ / ١٣١٨ ـ ١٣٤٨ م •

٦ ـ أبوسعيد عثمان الثاني

٧ ـ أبوثابت الزعيم ٧٤٩ ـ ٧٥٣ هـ / ١٣٤٨ ـ ١٣٥٢ م •

٨ ـ أبوحمود موسى الثاني ٧٥٣ ـ ٧٨٨ هـ / ١٣٥٢ ـ ١٣٨٦ م •

٩ ـ أبوتاشفين عبدالرحمن الثاني ٧٧٨ـ ٧٩٦ هـ / ١٣٨٦ ـ ١٣٩٣ م •

١٠ـ أبوزيان محمد الثاني ٧٩٦ هـ / ١٣٩٣ م •

دولة بنو عبدالواد (بنو زيان)

كان بنو زيان حكاما للجزائر من قبل الموحدين ، وعندما ضعف أمر الموحدين استقلوا بالجزائر ، واتخذوا مدينة تلمسان عاصمة لهم [1] .

وبنو زيان من القبائل الرحل التي تتنقل في صحراء المغرب الاوسط وكانوا قد فرضوا أنفسهم على أهل هذه البلاد ، ثم وصلوا الى مناصب السيادة فيها .

وبنو زيان من قبيلة عبدالواد ، واسم زعيمهم الاول هو يغمراسن بن زيان [2] ، ويتحدث ابن خلدون عن هذا الامير فيقول : [3]

" كان يغمراسن بن زيان من أشد بني عبدالواد بأسا وأعظمهم في النفوس مهابه واجلالا ، واعرفهم بمصالح قبيلته ، وأقواهم كاهلا على حمل الملك ، واضطلاعا بالتدبير والرياسة ، شهدت له بذلك أثارة قبل الملك وبعده ، وكان مرموقا بعين التجله ، مؤملا للامر عند المشيخة ، تعظمه من أمره الخاصة وتفزع اليه في نوائبها العامة ، فلما تولى الامر بعد أخيه قام به أحسن قيام واضطلع بأعبائه وظهر على الخارجين وأصارهم في جملته وتحت سلطانه ، وأحسن السيرة في الرعية بحسن السياسة والاصطناع وكرم الجوار واتخذ الآله ورتب الجند والمسالح وفرض العطاء .

---

(١) ابن خلدون : العبر ، ج٧ ، ص ٧٢ .

(٢) ن . م ، ج٧ ، ص ٧٩ .

(٣) عبدالعزيز سالم : المغرب الكبير ، ص ٨٧٢ .

ولعب يغمراسن بن زيان دورا هاما في تأسيس هذه الدولة ، اذ تم له ذلك بموافقة أمراء الموحدين . فقد كان بنو عبدالواد يستقرون في سهول وهران ويتركون الصحراء همواقربائهم من القبائل المختلفة ، ويضعون أنفسهم في خدمة عامل الموحدين في تلمسان ، ومع الايام كان بنو زيان قد ساهموا وبشكل فعال في الدفاع عن منطقة وهران ، مما أدى الى منحهم بعض الامتيازات . كان منها ان خليفة الموحدين قد عين يغمراسن ابن زيان عاملا على تلمسان وبلاد زناته سنة ٦٢٤ هـ / ١٢٢٧ م .

واستغل هذا الاميربمنطقته بعد سقوط دولة الموحدين ، الا ان الخطر كان يحيط بهذه البلاد من كل اتجاه ، فكان بنو حفص في تونس وبنومرين في المغرب يتطلعون لحكم هذه المنطقة وضمها الى حوزتهم ، فحاول أبوسعيد عثمان انتزاع تلمسان من صاحبها موسى بن عثمان بن يغمراسن لكنه فشل (١) .

ثم توجه أبوالحسن علي بن عثمان الى تلمسان فحاصرها وأقام معسكرا ثابتا أمامها ليكون قاعدة لعملياته العسكرية ، واتسع هذا المعسكر ، وأصبح مدينة كبيرة سميت (المنصورة) ، واستمرت الجيوش المرينية تحاصر تلمسان حتى سقطت سنة ٧٣٨ هـ / ١٣٣٧ م . وقتل المرينيون الامير ابن أبي تاشفين ، وبقيت تلمسان مركزا لحكومة مرينية الى أن استعادها بنو عبدالواد سنة ٧٥٠ هـ / ١٣٤٨ م ، ثم لم يلبث ان استولى عليها أبوعثمان بن أبي الحسن المريني سنة ٧٥٣ هـ / ١٣٥١ م ، ولكن أهلها شقوا عصا الطاعة على المرينيين ، ودخلها السلطان ابراهيم بن أبي الحسن سنة ٧٦١ هـ/١٣٥٩م وأقر أمير أبازيان من أحفاد بني عبدالواد وعاد الى فاس .

ثم تولى أبو حمو علي بن أبي زيان امارة تلمسان ، وأخذ يحكم المغرب الاوسط أمراء خاضعين لحكومة فاس ، وازدهرت فاس في عهدهم وكانت تلمسان مركزا تجاريا هاما ، وابتنى فيها بنو عبدالواد وبنومرين القصور والمدارس ، وفي القرن التاسع الهجرى ، بدأ يلفها عهد من الفوضى والاضطراب •

فقد تغلب السلطان أبوفارس عبدالعزيز بن أحمد الحفصي على سلطان تلمسان الواثق بالله ، وتمكن أبوعمرو عثمان بن محمد الحفصي سنة ٨٧٠ هـ / ١٤٦٥ م من هدم أسوار تلمسان (١) •

ورغم ذلك بقيت حكومة بني عبدالواد متماسكة الى ان ظهر الاسبان على المسرح السياسي ، وقيام الاسبان بالاستيلاء على بعض المدن الساحلية في المغرب الاوسط ، فسقطت بجاية في أيديهم سنة ٩١٠ هـ / ١٥٠٤ م ، واستولوا على وهران سنة ٩١٤ هـ / ١٥٠٨ م وحاولوا الاستيلاء على الجزائر التي استمر تهديد الاسبان لها حتى استعان أهلها بالمجاهدين الكبيرين الاخوين عروج وخير الدين بربروسا ، فتمكنا من دخول المدينة وحمايتها من أخطار الاسبان وكان بربروسة السبب في دخول الاتراك العثمانيين بلاد المغرب •

---

(١) ن • م : ص ٨٧٤ ـ ٨٧٥ •

أمــــراء بنـــي حفـــص

١ ـ أبو زكريا يحيى الاول ٦٢٨ ـ ٦٤٧ هـ / ١٢٣٠ ـ ١٢٤٩ م •

٢ ـ أبوعبدالله محمد المستنصر الاول

٦٤٧ ـ ٦٧٥ هـ / ١٢٤٩ ـ ١٢٧٧ م •

٣ ـ أبوزكريا يحيى الثاني ٦٧٥ ـ ٦٧٨ هـ / ١٢٧٧ ـ ١٢٧٩ م •

٤ ـ أبواسحاق ابراهيم ٦٧٨ ـ ٦٨٣ هـ / ١٢٧٩ ـ ١٢٨٤ م •

٥ ـ أبوحفص عمر المستنصر الثاني

٦٨٣ ـ ٦٩٤ هـ / ١٢٨٤ ـ ١٢٩٥ م •

٦ ـ أبوعبدالله محمد الثاني ٦٩٤ ـ ٧٠٩ هـ / ١٢٩٥ ـ ١٣٠٩ م •

٧ ـ أبوبكر الاول ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩/ ١٣٠٩ ـ ١٣١١ م •

٨ ـ أبوليقاء خالد الاول ٧٠٩ هـ / ٧١١ هـ / ١٣٠٩ ـ ١٣١١ م •

٩ ـ أبويحيى زكريا ٧١١ ـ ٧١٧ هـ / ١٣١١ ـ ١٣١٧ م •

١٠ـ أبوضربه محمد الثالث ٧١٧ ـ ٧١٨ هـ / ١٣١٧ ـ ١٣١٨ م •

١١ـ أبويحيى أبوبكر الثاني ٧١٨ ـ ٧٤٧ هـ / ١٣١٨ ـ ١٣٤٦ م •

١٢ـ أبوحفص عمر الثاني ٧٤٧ ـ ٧٥٠ هـ / ١٣٤٦ ـ ١٣٤٩ م •

١٣ـ أبوعباس أحمد الاول ٧٥٠ ـ ٧٥١ هـ / ١٣٤٩ ـ ١٣٥٠ م •

١٤ـ أبواسحاق ابراهيم الثاني ٧٥١ ـ ٧٧٠ هـ / ١٣٥٠ ـ ١٣٦٨ م •

١٤ـ أبوالبقاء خالد الثاني ٧٧٠ ـ ٧٧٢ هـ / ١٣٦٨ ـ ١٣٧٠ م •

١٥ـ أبوالبقاء خالد الثاني ٧٧٠ ـ ٧٧٢ هـ / ١٣٦٨ ـ ١٣٧٠ م •

١٦ـ أبوالعباس أحمد الثاني ٧٧٢ ـ ٧٩٦ هـ / ١٣٧٠ ـ ١٣٩٤ م •

١٧ـ أبوفارس عبدالعزيز ٧٩٦ ـ ٨٣٧ هـ / ١٣٩٤ ـ ١٤٣٣ م •

١٨ـ محمد الرابع ٨٣٧ ـ ٨٣٩ هـ / ١٤٣٣ ـ ١٤٣٥ •

١٩ـ أبوعمر عثمان	٨٣٩ ـ ٨٩٣ هـ / ١٤٣٥ ـ ١٤٨٨ م	•
٢٠ـ أبوزكريا يحيى الثالث	٨٩٣ ـ ٨٩٩ / ١٤٨٨ ـ ١٤٩٣ م	•
٢١ـ أبوعبدالله الخامس	٨٩٩ ـ ٩٣٢ هـ / ١٤٩٣ ـ ١٤٢٥ م	•
٢٢ـ أبومحمد الحسن	٩٣٢ ـ ٩٤١ هـ / ١٥٢٥ ـ ١٥٣٤ م	•

الدولـــة الحفصيـــة

ينتسب بنـوحفـص الـى الشيـخ أبـي حفـص عمـر بن يحيى مـن قبيلـــة هنتاتـة [1] ، وهـي مـن أشهـر قبائل مصمـودة ، وكـان لهـذا الشيـخ مكانــة سامية فـي دولـة الموحـدين ، فقد شاركهـم فـي الجهـاد ، وتولـى أولاده مـن بعده مناصب الامارة فـي المغـرب والانـدلـس ٠

وشارك الحفصيـون فـي القضـاء علـى ثـورة ابن غانيـة ، فقـد اصطحـب الناصـر معـه عبدالواحـد بـن أبـي حفـص ليساعـده فـي القضـاء علـى الثـورة فابلى بـلاء حسنـا ، وتمكنـا مـن هزيمـة ابن غانيـة سنـة ٦٠٤ هـ / ١٢٠٧ م [2] ، ثـم عينـه الناصر واليـا علـى تونـس لحمايتهـا مـن الثورات المعارضـة للموحديـن فحافظ عليهـا مـن جميع حركـات التمـرد والعصيـان حتى تـوفي سنـة ٦١٨ هـ / ١٢٢١ م ٠

وعندمـا ظهـر الضعـف فـي دولـة الموحـدين بـدأ الحفصيـون يتطلعـون الـى تونـس وظهـرت مـن بينهـم شخصيـة بـارزة هـو أبوزكريـا ، وتمكـن مـن استغـلال خـلافات الموحـدين فتغلـب علـى ولايـة تونـس سنة ٦٢٥ هـ / ١٢٢٨ م ، وتطلـع للاستقـلال عـن الموحـدين ، واتجـه لتوسيـع حـدود امارتـه شرقـا وغربـا فمـد سلطانـه الـى طرابلس وقسنطينـة وبجايـة وتلمسـان [3] ٠

وجاءت اليـه الوفود تبايعـة ، فبايعـه أهـل شـرق الانـدلـس ، واشبيليـة والمريـة ، واستنجـد بـه ابن مردنيش لـرد هجمات الاسبان علـى الانـدلـس

---

(١) ابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص ٢٧٥ ٠

(٢) ن ٠ م : ج٦ ، ص ٢٧٧

(٣) أحمـد شلبـي : موسوعة التاريخ الاسلامي ، ج٤ ، ص ٣٠٠ ٠

عندما زحف طاغية أرغون على حصون المسلمين سنة ٦٣٥ هـ / ١٢٣٨ م زأرسل اليه كاتبه الفقيه الاديب أبوعبدالله بن الآبار يستصرخه فأنشد بحضرة أبي زكريا قصيدة منها (١) :

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا ••••••• ان السبيل الى منجاتها درسا

وهب لها من عزيز النصر ما التمست ••••••• فلم يزل منك عز النصر ملتمسا

ياللجزيرة أضحى أهلها جزرا ••••••• للنائبات وأمسى جدها تعسا

في كل شارقة أمام بائقة ••••••• يعود مأتمها عند العدا عرسا

وكل غاربة اجحاف نائبة ••••••• تثني الامان حذارا والسرور أسا

تقاسم الروم لانالت مقاسمهم ••••••• الا عقائلها المحجوبة الانسا

وفي بلنسية منها وقرطبة ••••••• مايذهب النفس أومابنزف النفسا

مدائن حلها الاشراك مبتسما ••••••• جذلان وارتحل الاسلام منبئسا

وصيرتها العوادى الحادثات بها ••••••• يستوحش الطرف منها ضعف ماأنسا

ياللمساجد عادت للعدا بيعا ••••••• وللنداء يرى أنباؤها جرسا

لهفا عليها الى استرجاع فائتها ••••••• مدارسا للمثاني وأصبحت درسا

محا محاسنها طاغ أتيح لها ••••••• مانام عن هضمها حينا ولانعسا

وريح أرجائها لما أحاط بها ••••••• فغادر الشم من أعلامها خنسا

هذي رسائلها تدعوك من كتب ••••••• وأنت مرجو لمن يئسا

تؤم يحيى بن عبدالواحد بن أبي ••••••• حفص مقبلة من تربة القدسا

من كل غاد على يمناه ملتثما ••••••• وكل صاد الى نعماه ملتمسا

---

(١) ابن خدون : العبر ، ج٦ ، ص ٢٨٣ ـ ٢٨٥ ـ عبدالعزيز سالم : المغرب الكبير ، ص ٨٧٩ .

كأنه البدر والعليا هالته ...... تحف من حوله شهب القنا حرسا .

وأجاب الامير عبدالواحد أبوزكريا داعي الجهاد ، وأمدهم مما يحتاجون اليه من الاقوات والاسلحة ، وفتح امارته للمهاجرين من أهل الاندلس مما أدى الى تأثر حضارة بني حفص في عهده بالحضارة الاندلسية ، واستمر الامر كذلك في عهد خليفته أبي عبدالله المستنصر الذى زخر بلاطه بأهل الاندلس ، وتوطدت في عهده العلاقات التجارية بين تونس وبرشلونة ومرسيليا وجنوا وصقلية والبندقية [1] ، وكان بلاطه يغص بأهل الاندلس وأتم في عهده قصر الطابية سنة ٦٤٧ هـ / ٦٧٥ هـ ، وكانت بساتين هذا القصر على نظام بهو السباع بقصر الحمراء ، وينسب الى المستنصر حنة أبى مهر التي تبعد كيلو مترا جنوبي تونس ، كما ينسب اليه بناء مسجد باب الدرب ، وكانت أبنيته متأثرة بالاسلوب الاندلسي .

ثم تعاقبت الفتن على البلاد بسبب طمع الامراء في السيطرة على السلطنة وانقسموا على أنفسهم ، وخرجت بجايه عن طاعة الحفصيين [2] . فاستغل بنو مرين فرصة ضعفهم ، واستولوا على تونس فى عهد السلطان أبى عنان المريني ، وحاول أبو اسحاق ابراهيم وهو أحد أحفاد أبي زكريا اعادة وحدة البلاد بعد الانقسام والفرقة التي لحقت بالبلاد بظهور الدويلات المستقلة (مثل بني يملول في توزر وبنى الخلف فى نبطة وبنى مكي في قابس وبني ثابت في طرابلس) .

---

(١) عبدالعزيز سالم : تاريخ المغرب ، ص ٨٧٧

(٢) ابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص ٣٠٤ ومابعدها .

واستعادت الدولة الحفصية شيئا من هيبتها في عهد أبي العباس الذي وقف أمام هجوم النصارى على المهدية سنة ٧٩٢ هـ / ١٣٩٠ م ، فهزمهم وتمكن ابنه أبوفارس من الاستيلاء على تلمسان ، وضم بعض الامارات التي استقلت في حياة ابيه سنة ٨٠٣ هـ / ١٤٠٠ م ، وعلى بسكره سنة ٨٠٥هـ/١٤٠٢م ثم نجح في الاستيلاء على مدينة الجزائر سنة ٨١٣ هـ / ١٤١٠ م .

وفي عهد أبي فارس قدمت السفارات الى تونس من جميع الانحاء تخطب مودته وتطلب مصالحته خاصة ومنها سفارة من غرناطة وفاس ومصر وتوفي أبوفارس سنة ٨٣٨ هـ / ١٤٣٤ م وخلفه ابنه الاصغر المستنصر فحكم ١٤ شهرا ومات ، وفي عهد أخيه أبي عمر وعثمان اشتعلت نار الفتنة بسبب طمع أبناء عمومته بالسلطان الا ان أباعمر استطاع ان يقضي على هذه الثورات سنة ٨٥٠ هـ / ١٤٤٦ م ويهزم عمه أباالحسن .(١)

وازدهرت تونس في عهده وأصبح لها علاقات ومعاهدات تجارية مع فرنسا ، وعقد معاهدات تجارية مع سلاطين مصر والاندلس ، ثم تمزقت وحدة الحفصيين بعد وفاته ، وهاجم الاسبان سواحل تونس ، وتبدلت الحال حتى أصبحت حال الحفصيين يرثى لها ، وعبر أبومحمد الحفصي عن الحالة التي وصلوا اليها في بيت الشعر قال فيه :

وكنا أسودا والرجال تهابنا .... فجاء زمان فيه نخشى الارانبا (٢)

وكان هذا الامير قد تعاون مع الاسبان وثار عليه ابنه فقبض عليه وسمل عينيه وخلعه من منصبه ، ثم قام الاسبان بمذبحة في تونس سنة

---

(١) عبدالعزيز سالم : المغرب الكبير ، ص ٨٧٩ .

(٢) أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الاسلامي ، ج٤ ، ص ٣٠٥ .

٩٤١ هـ / ١٥٣٤ م فكانت نهاية الحفصيين ، وبدأ الصراع عليها بين العثمانيين والاسبان ، واستطاع العثمانيون من ابعاد نفوذ الاسبان والاستئثار بحكمها سنة ٩٧٦ هـ / ١٥٦٨ م .[١]

---

(١) أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الاسلامي ، ج٤ ، ص ٣٠٥ .

الفصل الخامس

مملكة غرناطة وسقوط الاندلس

- ملوك بني الاحمر
- الاندلس بعد سقوط دولة الموحدين ونشأة غرناطة .
- الصراع بين غرناطة وأسبانيا النصرانية .
- سقوط الاندلس .

ملوك بني الاحمر

١ - محمد الاول (الغالب) ٦٢٩ - ٦٧١ هـ / ١٢٣٢ - ١٢٧٣ م •

٢ - محمد الثاني بن محمد الاول ٦٧١ - ٧٠١ هـ / ١٢٧٣ - ١٣٠٢ م •

٣ - محمد الثالث بن محمد الثاني (المخلوع)

٧٠١ - ٧٠٨ هـ / ١٣٠٢ - ١٣٠٩ م •

٤ - نصر بن محمد الثاني ٧٠٨ - ٧١٣ هـ / ١٣٠٩ - ١٣١٤ م •

٥ - اسماعيل الاول بن فرج (أبوالوليد)

٧١٣ - ٧٢٥ هـ / ١٣١٤ - ١٣٢٥ م •

٦ - محمد الرابع بن اسماعيل ٧٢٥ - ٧٣٣ هـ / ١٣٢٥ - ١٣٣٣ م •

٧ - يوسف الاول بن اسماعيل (أبوالحجاج)

٧٣٣ - ٧٥٥ هـ / ١٣٣٣ - ١٣٥٤ م •

٨ - محمد الخامس بن يوسف (الغني بالله)

٧٥٥ - ٧٦٠ هـ / ١٣٥٤ - ١٣٥٩ م •

٩ - اسماعيل الثاني بن يوسف ٧٦٠ - ٧٦١ هـ / ١٣٥٩ - ١٣٦٠ م •

١٠ - محمد السادس بن اسماعيل (الغالب بالله)

٧٦١ - ٧٦٣ هـ / ١٣٦٠ - ١٣٦٢ م •

١١ - محمد الخامس (مرة ثانية)

٧٦٣ - ٧٩٣ هـ / ١٣٦٢ - ١٣٩١ م •

١٢ - يوسف الثاني بن محمد الخامس (أبوالحجاج)

٧٩٣ - ٧٩٧ هـ / ١٣٩١ - ١٣٩٤ م •

١٣ - محمد السابع بن يوسف الثاني

٧٩٧ - ٨١١ هـ / ١٣٩٤ - ١٤٠٨ م •

١٤ ـ يوسف الثالث بن يوسف الثاني

٨١١ ـ ٨٢٠ هـ / ١٤٠٨ ـ ١٤١٧ م •

١٥ ـ محمد الثامن أبوعبدالله (الايسر)

٨٢٠ ـ ٨٣١ هـ / ١٤١٧ ـ ١٤٢٨ م •

١٦ ـ محمد التاسع (أبوعبدالله الصغير) .

٨٣١ ـ ٨٣٣ هـ / ١٤٢٨ ـ ١٤٣٠ م •

وأعيد الايسر لعامين الى ٨٣٥ هـ •

١٧ ـ أبوالحجاج يوسف الرابع ٨٣٥ هـ / ١٤٣٢ م •

١٨ ـ محمد الثامن (الايسر للمرة الثالثة)

٨٣٥ ـ ٨٤٥ هـ / ١٤٣٢ ـ ١٤٤٢ م •

١٩ ـ محمد العاشر (الاحنف أو الاعرج)

٨٤٥ ـ ٨٤٩ هـ / ١٤٤٢ ـ ١٤٤٦ م •

٢٠ ـ يوسف الخامس بن أحمد ٨٤٩ هـ / ١٤٤٦ م •

٢١ ـ محمد العاشر (الاحنف) ٨٤٩ ـ ٨٦٣هـ / ١٤٤٦ ـ ١٤٥٨ م •

٢٢ ـ سعد بن محمد حفيد يوسف الثاني

٨٦٣ ـ ٨٦٧ هـ / ١٤٥٨ ـ ١٤٦٢ م •

٢٣ ـ يوسف الخامس ٨٦٧ ـ ٨٦٨ هـ / ١٤٦٢ ـ ١٤٦٣ م •

٢٤ ـ سعد بن محمد (ثانية) ٨٦٨ هـ / ١٤٦٣ م •

٢٥ ـ أبوالحسن على بن سعد (الغالب بالله)

٨٦٨ ـ ٨٨٧ هـ / ١٤٦٣ ـ ١٤٨٢ م •

٢٦ ـ أبوعبدالله محمد الغالب بالله (الملك الصغير)

٨٨٧ ـ ٨٨٨ هـ / ١٤٨٢ ـ ١٤٨٣ م •

٢٧ ـ أبوعبدالله محمد الزغل (الشجاع أوالباسل)

٨٨٨ ـ ٨٩٢ هـ / ١٤٨٣ ـ ١٤٨٧ م •

٢٨ ـ أبوعبدالله محمد الملك الصغير ثانية

٨٩٢ ـ ٨٩٧ هـ / ١٤٨٧ ـ ١٤٩٢ م •

وبتسليمه غرناطه ينتهي الوجود العربي في الاندلس ويصاب بأكبر محنه في تاريخه •

الاندلس بعد سقوط دولة الموحدين ونشأة غرناطه

لقد نتج عن ضعف قوة الموحدين في الاندلس أن تعرضت الاندلس لاخطار اسبانيا النصرانية التي حاولت توحيد صفوفها لتوجيه ضرباتها للوجود الاسلامي في الاندلس ، فأدى ذلك الى اسقاط العديد من القواعد الاسلامية بيد الاسبان .

في هذه الاثناء ظهرت شخصية هامه من الاندلس هو أبوعبدالله محمد بن هود الجذامي الذى لقب أمير المسلمين سيف الدولة (المتوكل على الله)[1] ، وهو من أسرة بني هود أصحاب سرقسطة ، وكان له نشاط واسع استطاع خلاله ان يضم الى سيادته مجموعة من المدن الاندلسية هي مرسيه واشبيليه وقرطبه وغرناطة ومالقة والمرية[2] .

وعمل بن هود على انهاء سلطة الموحدين في الاندلس ، الذين لم يتمكنوا من حمايتها أو وقف خطر الاسبان . ومع ذلك فقد كان ابن هود أضعف من ان يقضي على خطر الاسبان ، فالبناء الذى أشاده بسرعة كبيرة لم يكن متينا ، وظهر التصدع فيه عندما وجه اليه ملوك النصارى ضرباتهم المتتالية . وهزم أمام الاسبان في عدد من المعارك ، وتهاوت المدن الاسلامية بأيديهم ، فسقطت قرطبة العاصمة الاسلامية الخالدة ، ولم يتمكن ابن هود من تقديم المساعدة لاهلها ، فتركهم يواجهون مصيرهم أمام ملك قشتاله فرد لند الثالث .

---

(١) المقرى : نفح الطيب ، ج١ ، ص ٢١٥ .

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة في أخبار غرناطة ، ج٢ ، ص ١٣٠ .

بدأ التقارب بين ملوك النصارى لشن غاراتهم على المدن الاسلامية في هذه الظروف العصيبة ، فزادت قوتهم على حساب الاندلس . وتعرضت الجزائر الشرقية (جزر البليار) الى حملة قادها خايمي الاول ملك أورغون ودخل ميورقة سنة ٦٢٦ هـ - ١٢٢٩ م ، ويابسة سنة ٦٣٢ هـ / ١٢٣٥ م ، بينما تمكن صاحب ميورقة من الاحتفاظ بجزيرته ، ودفع الجزية للافرنج الى ان توفى ، فتمكن الافرنج من فتحها سنة ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م ، وأجلوا المسلمين عنها [١] .

ولما أقدم فردلند الثالث ملك قشتاله على غزو مدينة جيان ، فاوضه ابن هود سنة ٦٣٣ هـ / ١٢٣٦ م ، ودفع له الجزية ، كما تنازل له عن بعض الحصون لقاء عودته عن المدينة [٢] .

ولم يلبث ابن هود ان توفى في مدينة المرية سنة ٦٣٥ هـ / ١٢٣٨ م[٣] وظهرت شخصية جديدة أكثر شهرة وأطول بدا من ابن هود هو أبوعبدالله محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الاحمر ، والملقب بالشيخ [٤] (الغالب بالله) ، فتمكن من تكوين قوة احتفظت بجزء من جنوب الاندلس ، وأسس مملكة غرناطه (الاندلس الصغرى) . وغرناطة هي احدى مدن الاندلس وتعني رمانه بلغة عجم الاندلس ، وسميت كذلك لحسنها [٥]، وتضم المنطقة الواقعة

---

(١) المقرى : نفح الطيب ، ج٤ ، ص ٤٦٩ .

(٢) يوسف فرحات : غرناطه في ظل بني الاحمر ، ص ٢٣ .

(٣) محمد لبيب البتنوني : رحلة الاندلس ، ص ٨٧ .

(٤) المقرى : نفح الطيب ، ج١ ، ص ٤٤٧ - على الجارم : العرب في اسبانيا ص ١٧٧ - دار المعارف ، مصر ، ١٩٦١ .

(٥) ياقوت : معجم البلدان : ج٤ ، ص ١٩٥ .

بين جبال نيفادا التي يسميها العرب جبال الثلوج وبين البحر المتوسط

ويرجع نسب ابن الاحمر الى سعد بن عباده الانصارى الخزرجي أحد الصحابه (١) .

وكان ابن الاحمر مقداما شجاعا جريئا شديد المراس ، دعا للم الشمل وجمع حوله كثير من الاعوان ، ودخلت في طاعته بعض القواعد الاسلامية في وسط الاندلس ، ثم دانت له غرناطة بعد وفاة ابن هود سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٨م (١) كما دخلت مناطق في شرق الاندلس وجنوبها .

وأصبحت غرناطة حاضرة المسلمين وقاعدتهم الكبرى في الاندلس ، الا انها لم تستطع بقوة أمرائها بنو الاحمر من حماية جميع الاندلس التي كانت تحت حماية سلطان الموحدين ، وسقطت مدن قرطبة وبلنسية واشبيلية ومجموعة من المدن والحصون الاسلامية (٣) ، وكان سقوط اشبيلية مؤذنا بالانهيار التام للوجود العربي ، وسببا في اثارة أطماع النصارى خاصة البرتغاليين الذين هالهم ماقام به فردلند من أعمال (٤) .

وكان ابن الاحمر رجلا بصيرا بالامر حسن التصرف أحسن من سياسة الرعية وتفاني لخدمة دولته ، وحصل على مساعدة المرينيين ملوك مراكش في صراعهم للقوى الاسبانية ، فأطال ذلك من وجود المسلمين في الاندلس كما وفدت على مملكة غرناطه ألوف من النازحين من الممالك الاسلامية التي سقطت بأيدى النصارى من أرباب العلم والحرف والصناعات ورجال

---

(١) القلقشندى : صبح الاعشى في صناعة الانشا ، ج٥ ، ص ٢٦٠ ، محمد لبيب البتنوني ، رحلة الاندلس ، ص ٨٦ .

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة في أخبار غرناطه ، ج٢ ، ص ١٠٠ ـ ١٠١ .

(٣) عبدالرحمن الحجي ، التاريخ الاندلسي ، ص ٥١٧ ـ ٥١٨ ، علي الجارم ، العرب في أسبانيا ، ص ١٧٨ .

(٤) عبدالكريم التواتي : مأساة انهيار الوجود العربي بالاندلس ص ٤٠٧ .

السيف [1] ، الذين هرعوا ليقدموا سواعدهم وسيوفهم لخدمة الجزء المتبقي للمسلمين في هذه البلاد [2] ، فعمر ابن الاحمر مملكته واتخذ منهم جيشا يسنده في وجه التهديدات الاسبانية ، واستطاع ان يرد الاسبان ويهزمهم عندما هاجموا حصن مرطوس سنة ٦٣٦ هـ / ١٢٣٨ م ، وهكذا عقدت عليه الآمال لاحياء الامجاد العربية الاسلامية ، ورفع شأنهم باعادة هيبتهم الى الاندلس ونظر اليه المسلمون كمنقذ للاندلس من خطر الاسبان ٠

لقد كانت غرناطة من أحسن مدن الاندلس ، فوصفها الشعراء ، ومما قيل فيها [3] :

غرناطة مالها من نظير ٠٠٠٠٠٠٠ مامصر ماالشام ماالعراق ؟

ماهي الا العروس تجلى ٠٠٠٠٠٠٠ والارض من جملة الصداق ٠

ولما هاجم الاسبان حصن جيان سنة ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م أسرع ابن الاحمر لدفع الاسبان ، لكنه هزم ، فقرر الاستمرار في منع الاسبان من دخول مدينة جيان ، فذهب بنفسه الى معسكر القشتاليين لمفاوضتهم ، ونجح في ذلك فأعجب به ملك قشتالة فرناندو لجرأته وعقد معه اتفاقا تضمن احتفاظ بني الاحمر بأملاكهم على ان يؤدوا جزية سنوية مقدارها خمسين ألف مثقال من الذهب ، والتعاون في شؤون السياسة والدفاع ٠

---

(١) أسعد حومد : محنة العرب في الاندلس ، ص ٧٩ ٠

(٢) أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الاسلامي ، ج٤ ، ص ٧٥ ٠

(٣) المقري : أزهار الرياض في أخبار عياض ج٥ ، ص ٥٥ ٠

ففي سنة ٦٦٥ هـ / ١٢٦٧ م اضطر ابن الاحمر الى مصالحة القشتاليين وتنازل عن مدينة شريش ومجموعة من الحصون ، فتحركت مشاعر أبي البقاء الرندى لرثاء الاندلس في قصيدة قصيرة يقول فيها (١) :-

لكل شيء اذا ماتم نقصان •••••• فلا يغر بطيب العيش انسان
هي الامور كما شاهدتها دول •••••• من سره زمنه ساءته أزمان
أتى على الكل أمر لامرد له •••••• حتى قضوا فكأن القوم ماكانوا
دهى الجزيرة أمر لاعزاء له •••••• هوى له أحد وانهد ثهلان
أصابها العين في الاسلام فارتزأت •••••• حتى خلت منه أقطار وبلدان
فاسأل بلنسية ماشأن مرسية •••••• وأين شاطبة أم أين جيان
وأين قرطبه دار العلوم فكم •••••• من عالم قد سما فيها له شان
وأين جامعها المشهور كم تليت •••••• في كل وقت به آى وقرآن
كذا المريه دار الصالحين فهل •••••• رأى شبيها لها بالحسن انسان
وأين حمراؤها العليا وزخرفها •••••• كأنها من جنان الخلد عدنان
قواعد كن أركان البلاد فما •••••• عسى البقاء اذا لم تبق أركان
تبكي الحنفية البيضاء من أسف •••••• كما بكى لفراق الالف هيمان
على ديار من الاسلام خالية •••••• قد أقفرت ولها بالكفر عمران
حيث المساجد قد صارت كنائس ما ••••• فيهن الا نواقيس وصلبان
حتى المحاريب تبكي وهي جامدة •••••• حتى المنابر ترثي وهي عيدان
تلك المصيبة قد أنست ماتقدمها •••••• ومالها من طوال الدهر نسيان
ياراكبين عناق الخيل ضامرة •••••• كأنها في مجال السيف عقبان

---

(١) المقرى : نفح الطيب ، ج٤ ، ص ٤٨٦ ومابعدها •

وحاملين سيوف الهند مرهفة •••••• كأنها في ظلام النقع نيـــــران
يامن لذله قوم بعد عزهـــــم •••••• أحال حولهم جور وطغيـــــان
بالامس كانوا ملوكا في منازلهم •••••• واليوم هم في بلاد الكفر عبـــدان
لمثل هذا يذوب القلب من كمد •••••• ان كان في القلب اسلام وايمـــان
فلورأيت بكاهم عند بيعهـــم •••••• لهالك الامر واستهوتك أحـــزان
يارب طفل وأم حيل بينهمـــا •••••• وكم تفرق أرواح وأبـــــــدان
وطفلة مثل حسن الشمس طالعة •••••• كأنما هي ياقوت ومرجـــــان
يقودها العلج بين السبي باكية •••••• فالعين باكية والقلب حيـــران
هل للجهاد بها من طالب فلقد •••••• تزخرفت جنة المأوى لها شـــان
ثم الصلاة على المختار من مضر •••••• ماهب ريح الصبا واهتز أغصـــان

وخلال عهد غرناطة كانت هناك ثلاث ممالك مسيحية قوية هي البرتغال وأرغون وقشتاله ، والاخيرة أقوى هذه الممالك • وقد سعت الى توحيد جهودها مع مملكة أرغون في عهد ملكيها الشهيرين فرانده الخامس وايزابيل (ايزابيلا) فعندما تولى يوحنا الثاني عرش أرغون سعى الى تزويج ابنه فرانده الخامس من ابنة عمه ايزابيل القشتالية التي ورثت عرش قشتاله بعد وفاة أخيها هنري الرابع الملقب بالعاجز (اتريق) وقشتالة ، وهما اللذان تمكنا من اسقاط مملكة غرناطة الاسلامية سنة ٨٩٧ هـ / ١٤٩٢ م (١)

(١) محمد حتاملة : محنة مسلمي الاندلس ، ص ٥٧ •

الصراع بين غرناطه وأسبانيا النصرانية

اتخذ الصراع بين المسلمين في الاندلس والممالك المسيحية طابعا جديدا بعد قيام مملكة غرناطه ، وصارت اسبانيا النصرانية أعنف وأكثر تعصبا في محاربة المسلمين ، وكانت الممالك المسيحية الثلاث أقوى من مملكة غرناطة ، حتى ان قوة أى من الممالك الثلاث كانت تفوق قوة مملكة غرناطة ، فقد حشد النصارى كل الامكانيات العسكرية في العدد والعده ، واستعانت هذه الممالك ببعضها البعض وبقوات من خارج اسبانيا تحمل لواء الصليبية .

وكان على غرناطة ان تحارب في جبهات كثيرة ، وبدأت في صراعها مع الممالك المسيحية حرب افنا ء في العقيدة ، وفي الوجود البشرى ، لهذا كان الصراع مروعاً ومخيفا ، فهو يجرى الى نهاية محتومة هي الزوال .

وفي سنة ٦٦٤ هـ / ١٢٢٦ م سقطت مدينة مرسيه ، ولم يبق بيد المسلمين غير غرناطة ، وانتهت مرحلة التوغل الكبير في الجنوب الاندلسي وانصرفت مملكة أرغون الى بنا ء دولتها تاركة عملية استكمال احتلال الاندلس لملوك قشتاله [١] .

وبعد سقوط مرسية حدث توقف في النشاط العسكرى بين المسلمين والاسبان ، وكان لهذا التوقف أسباب ودوافع ، فكانت قشتالة رغم قوتها واستعدادها لاتملك القوة الكافية للاستمرار بالتوغل واحتلال المناطق الاندلسية ، كما افتقدت الممالك الشمالية الى الوحدة التي تمكنها من

---

(١) عادل سعيد بشتاوي : الاندلسيون المواركة ، ص ٧٢ .

اتمام الاحتلال ، وربما كان للهدنه التي عقدت بين المسلمين وقشتاله أثر في ذلك ، فقد كانت تحصل قشتاله على كميات طائلة من الاموال تساعدها في بناء قوتها العسكرية .

ولعب توقف الحماس الديني الذى توقد خلال الحملات الصليبية دورا في هذا المجال ، كما تجمعت في غرناطة قوى ليست قليلة ، فقد هاجر اليها المسلمون من البلاد التي سقطت في يد الاسبان ، ووضعت الجماعات العسكرية نفسها في خدمة غرناطه وحكامها المسلمين للتعاون من أجل حماية مابقي في أيدى المسلمين حول غرناطة ، وكان خروجهم مع المسلمين الذين هاجروا فرارا بدينهم وأنفسهم .

وعندما قامت قوات اسبانيا النصرانية بالاعتداء على غرناطة سنة ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م . استطاع أهل غرناطة بمساعدة مجاهدى المغرب رد هذه الاعتداء ات ، الا ان قشتاله عاودت تجميع القوى المسيحية ، وبدأت بمهاجمة أراضي المسلمين ، وتجدد طلب الغوث من المغرب ، فقد وجه ابن الاحمر الى أمير المسلمين سلطان بني مرين أبويوسف يعقوب بن عبدالحق الملقب بالمنصور بطلب النجدة ، فأرسل له جيشا وصل الاندلس سنة ٦٧٣ هـ / ١٢٧٥ م بعد وفاة محمد بن الاحمر ، وجرت عدة أحداث مع جيوش قشتاله ، واستطاع جيش المسلمين تحقيق نصر هائل سنة ٦٧٤ هـ / ١٢٧٥ م ، عند مدينة استجه جنوب غرب قرطبه ، وهزموا جيش قشتاله الذى يقوده الدون دى لارا صهر ملك قشتاله الفونس العشر [1] ، وكان الامير المريني أبويوسف يعقوب (المنصور) قد باشر القتال بنفسه .

---

(١) ابن الخطيب : الاحاطه ، ج[1] ، ص ٥٦٥ .

ثم عاد المنصور الى الاندلس ثانية سنة ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م ، وتوغل في أراضي قشتاله ، الا ان محمد الثاني (الفقيه) أمير غرناطة توجس خيفة من المنصور فتحالف مع ملك قشتاله بعد عودة المنصور الى المغرب ، فأرسل المنصور ابنه بأسطول ضخم هزم القشتاليين في معركة بحرية وأجبرهم على ترك الجزيرة الخضراء ثم أرسل الى محمد الفقيه يدعوه للتفاهم خوفا على مصير المسلمين في الاندلس فعاد الود والصفا بينهما ، وأصبحت مالقة قاعدة لبني مرين تعبر منها الى الاندلس من أجل الجهاد ٠

وعندما حدث الصراع بين شانجه الرابع وأبيه الفونس العاشر سنة ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م ، طلب أحدهما (١) عون المنصور بن مرين الذي استجاب لذلك وأخذ تاج قشتاله رهينة عنده ، وعبر الى الاندلس ، فاشتبك مع جيوش قشتاله وهزمهم ، ثم عقد معهم صلحا سنة ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م ، تضمن مسالمة مسلمي الاندلس وعدم الاعتداء عليهم (٢) ٠

ثم توجهت جماعة من المجاهدين الى الاندلس للاقامة فيها والقيام بحمايتها من اعتداءات الاسبان والممالك الاوروبية الاخرى ، وعرفت باسم (مشيخة الغزاه) ، ورئيسها (شيخ الغزاه) وتولى رئاستها عبدالله بن أبي العلاء من أقارب السلطان المريني حتى استشهد سنة ٦٩٣ هـ / ١٢٩٣ م (٣) ٠

---

(١) انظر : ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ٣٣٢ ـ ٣٣٣ ، ابن خلدون ، العبر ج ٤ ، ص ٣٩٣ ، المقرى ، أزهار الرياض ، ج ١ ، ص ٦١ ، نفح الطيب ، ج ٥ ، ص ١٢٠

(٢) ابن الخطيب ، الاحاطة ، ج ١ ، ص ٥٦٣ ، ابن خلدون ، العبر ، ج ٤ ، ص ٣٩٣ ٠

(٣) ابن خلدون : العبر ، ج ٧ ، ص ٧٧١ ٠

عندما توفى محمد الفقيه سنة ٧٠١ هـ / ١٣٠١ م خلفه ولده محمد المخلوع ، ثم تولى الحكم أخاه نصر سنة ٧٠٨ هـ / ١٣٠٨ م ، فساءت العلاقة مع بني مرين وانتهز فرانده الرابع ملك قشتاله الفرصة ، وأرسل جنده لحصار جبل طارق ومدينة المرية بمساعدة ملك أرغون خايمي الثاني .

وتنازل نصر عن الحكم سنة ٧١٣ هـ / ١٣١٤ م فتولى مكانه أبوالوليد اسماعيل وكان هذا الامير وافر العزم ، وطد الامن وأشاع الاستقرار ، ثم استنجد ببني مرين عندما هاجم القشتاليون الاراضي الاسلامية ، وزحفوا على مدينة غرناطة بمساعدة متطوعين من الانجليز ، وتمكن المسلمون من تحقيق النصر وهزموا الافرنج في معركة قرب غرناطة سنة ٧١٨ هـ / ١٣١٨ م ، بقيادة شيخ الغزاه أبوسعيد عثمان بن أبي العلاء [١] .

واستمرت المواجهات بين المسلمين والاسبان ، وهزم المسلمون في معركة بحرية سنة ٧٤٠ هـ / ١٣٣٩ م ، اشتركت فيها قوات في أرغون وقشتاله والبرتغال [٢] .

وكانت وقعة طريف من أقوى المعارك التي خاضها المسلمون ضد الاسبان وتولى فيها قيادة جيش المسلمون كلا من أبي الحسن على بن عثمان بن أبي يعقوب المريني وأبي الحجاج يوسف الاول ، وحدثت المعركة سنة ٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م ، واستعمل فيها المسلمون المدافع التي تقذف النيران لاول مرة ، الا ان المسلمين خسروا هذه المعركة ، فارتكب القشتاليون أبشع المنكرات في معسكر المسلمين ، وغنموا أمواله وسلامه ، ويقال بأن من بين الخسائر كانت نسخة من مصحف عثمان [٣] ، ثم قام القشتاليون بقتل

---

(١) عنان : نهاية الاندلس ، ص ١٧١ .

(٢) عبدالرحمن الحجي : التاريخ الاندلسي ، ص ٥٤٣

(٣) عنان : نهاية الاندلس ، ص ١٢٧ .

النسـاء والاولاد الـذين أسروهـم فـي هـذه الواقعـة [1] .

أمـا مـن بقـي من المسلميـن فـي المـدن التـي احتلهـا الاسبـان فقـد أطلـق عليهـم اسـم (المدجنـون) ، [2] ولـم يتعـرضوا فـي بدايـة الامـر الـى ضغوطـات كبيـرة مـن الاسبـان ، فقـد كـان للمسلميـن كيـان سياسـي لايـزال قائمـا فـي الاندلـس ، وهـي مملكـة غرناطـه وجنـوب الاندلـس ، فتخـوف الاسبـان مـن قيـام المسلميـن بعمليـات انتقـام تجـاه النصـارى المقيميـن في غرناطـة [3] .

كمـا تخوف الاسبـان مـن قيـام المدجنين بالتجمـع والتعـاون لتشكيـل قـوة جـديدة تسـاهم فـي مواجهـة اسبانيـا النصرانيـة ، هـذا اضافـة الـى ان أهـل الاندلس كانـوا يتمتعـون باتقـان كافـة المهـارات والحـرف ، ولديهـم مستـوى مـن الثقافـة والحضـارة العاليـة التـي فيمـا لـوتركـوا مدنهـم فان ذلـك سيحـدث فراغـا حضاريـا وثقافيـا فـي المنطقـة ، فكـان ابقاؤهـم مـن بـاب الحـرص علـى مصلحـة الاسبان .

ومـع ذلـك فقـد كانـوا يحرمون مـن كثير مـن حقوقهـم ، أوالتمتـع بالحريـة فـي أعمالهـم وعباداتهـم ، ويلقـون الكثيـر مـن الصلـف والعنـف ، والسعـي مـن أجـل تذويبهـم وصهرهـم فـي المجتمعـات المسيحيـة .

وقـد حثهـم بعـض العلمـاء علـى الهجـرة الـى أراضـي المسلميـن في الوقـت الـذى بدأت فيـه حـرب الابادة مـن قبـل الاسبـان ، وكـان التعصـب قـد بلـغ مبلغـا كبيـرا بيـن الاسبـان ، وساعـد فـي زرعـه جماعـة مـن الرهبـان والقسـس ، ودفعهـم هـذا التعصـب الـى شـن حـرب علـى الامـة الاسلاميـة ، بـدأ منـذ سقـوط بعـض

---

(١) ابن خلدون : العبر ، ج٧ ، ص ٥٤٦ .

(٢) أرسلان : الحلل السندسية ، ج٢ ، ص ١١٨ .

(٣) عبدالرحمن الحجي : التاريخ الاندلسي ، ص ٥٢٣ .

القواعد الاندلسية بيد ملوك أسبانيا النصرانية • واستهدفت ازالة وجود المسلمين في الاندلس ، ومحاربة عقيدتهم باتباع أبشع الاساليب والطرق •

وفي كثير من الاحيان كان الاسبان يرفضون عرض الصلح الذى تقدمه بعض المدن الاسلامية ، وقد ترفض السماح لهم بالخروج من المدن بانفسهم وعملوا على تحويل المساجد الاسلامية الى كنائس ، وازالة كل المعالم الاسلامية للمدن الاندلسية برغم وجود المواثيق والعهود التي أبرمت بين المسلمين والاسبان كشروط عند تسليم المدن أو الحصون الاسلامية •

سقـــوط الاندلـــس

لـم تتوقـف أعمـال الاسبـان التخريبيـة فـي أراضي الاندلـس ، وعقـدت معاهـدات صلـح بيـن المسلميـن والاسبـان مـن بينهـا معاهـدة صلـح مـع بطـره بـن شانجـة (بيدرو الرابع) سنـة ٧٣٦ ـ ٧٨٩ هـ / ١٣٣٦ ـ ١٣٨٧ م فسـاد الامـن والسـلام ربـوع مملكـة غرنـاطـه ، وازدهـرت خـلال عهـد الحجـاج يوسـف الاول [(١)]، وبعـد وفـاته فشلت اسبـانيـا فـي محاولـة اقتسـام أملاك غرنـاطـة ، فقـامـت مصالحـة بيـن غرنـاطـة مـن جهـه وبيـن أرغـون وقشتالـه مـن جهـه ثانيـة ٠

وفـي سنـة ٨٦٧ هـ / ١٤٦٢ م سقطـت جبـل طارق بيـد القشتاليين ، فكـان ذلك ضربـة قويـة للمسلميـن وتوقـف وصـول الامـدادات من المغـرب الـى الاندلس ثـم ضعفـت بعـد ذلـك قوة المغـرب الاسلامـي بانتهـاء الدولـة المرينيـة التـي حـل محلهـا بنووطاس سنـة ٨٦٩ هـ / ١٤٦٤ م الذيـن لـم يتمكنـوا مـن تقديـم المسـاعـدة المطلوبـة لمسلمـي الانـدلـس ومواصلـة الجهـاد معهـم ٠

تولـى حكـم غرنـاطـة سنـة ٨٨٧ هـ / ١٤٨٢ م محمـد بن علـى الملقـب (أبوعبداللـه الصغيـر) ، وتمكـن أول الامـر مـن تحقيـق عـدة انتصارات ضـد جيـوش قشتالـه الا انـه هزم فـي معـركـة عنـد قلعـة (اللسانـة) جنـوب شـرق قرطبـه ، وبقـي الـى ان أطلـق سراحـه سنـة ٨٩٠ هـ / ١٤٨٥ م بعـد ان عقـد صلحـا مـع ملـك قشتالـة [(٢)] ٠

وحدثـت انقسـامات بيـن المسلميـن في غرنـاطـة بيـن أبوعبداللـه الصغيـر وعمـه أبوعبداللـه الزغـل ، واتهـم أبوعبداللـه الصغيـر بتعاونـه مـع الاسبـان

---

(١) ابن خلدون : العبر ، ج ٧ ، ص ٦٣٢ ٠

(٢) عبدالرحمن الحجي : التاريخ الاندلسي ، ص ٥٥١ ٠

وبدأ يفقد ثقة الناس به [1] ، وتعرضت المدن الاندلسية لحملات الاسبان وضرباتهم المتلاحقة ٠

وعقد أبوعبدالله الزغل معاهدة مع ملك قشتاله سنة ٨٩٥ هـ / ١٤٨٩ م تم اضطر لترك الاندلس الى الجزائر ٠

أما القشتاليون فاغتنموا الظروف المناسبة لتحقيق أطماعهم ، وتوجهوا ليضربوا حصارهم حول مدينة غرناطه ، وبدأوا بشن حرب استنزاف ضد المسلمين واستمر الحصار سبعة أشهر صمد خلالها أهل غرناطة وفشلت محاولات الاسبان لدخول المدينة ، فقطعوا اتصال المدينة بالخارج وكانت الامدادات تصل الى غرناطه من منطقة البشرات الجبلية - وهي منطقة بقيت خارج سيطرة الاسبان حتى بعد سقوط غرناطه ٠

وانتشر الجوع والمرض ، واجتمع أعيان القوم فشكوا الى أميرهم أبي عبدالله الصغير حالة الضعف ، وشدة الجوع وقلة الطعام ، وانقطاع الامدادات التي كانت تأتيهم من البشرات بسبب الثلوج [2] ،واتفقوا على تسليم المدينة ، وبعثوا الوزير أباالقاسم عبدالملك لمفاوضة الاسبان وتم الاتفاق على تسليم المدينة بين حاكم غرناطة وملكي قشتاله وأرغون سنة ٨٩٧ هـ ١٤٩١ م [3] ٠

وتضمنت معاهدة التسليم مجموعة من الشروط نذكر منها :-

---

(١) حتاملة : محنة مسلمي الاندلس ، ص ٣٣

(٢) ن ٠ م : ص ٥٣

(٣) المقرى : نفح الطيب ، ج ٦ ، ص ٢٢ ٠

١ ـ أن يأمن المسلمون على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم

٢ ـ حرية الدين والشعائر والعبادات مع الحفاظ على المساجد والاوقاف ٠

٣ ـ اطلاق سراح الاسرى المسلمين ٠

٤ ـ أن لايقضي بين المسلمين الا قضاتهم ٠

٥ ـ معاملة المسلمين بالرفق والعدل ٠

٦ ـ السماح لمن أراد الهجرة الى المغرب ٠

٧ ـ عدم اجبار المسلمين على اعتناق النصرانية ٠

وتم تسليم المدينة سنة ٨٩٧ هـ / ١٤٩٢ م ، ودخلها الملكان الكاثوليكيان (فرديناند وايزابيلا) وانتهت بذلك آخر مملكة للمسلمين في الاندلس ، ورحل أبوعبدالله الصغير بعد ان سلم مفاتيح المدينة لفرديناند الى المغرب ، وأقام في مدينة فاس [١] الى ان توفى سنة ٩٢٤ هـ / ١٥١٨ م [٢].

أما الاسبان فقد نكثوا بعهودهم للمسلمين ، فقاسى مسلموا الاندلس بعد سقوط غرناطه محنة أليمة استهدفت وجودهم وعقيدتهم ، وأجبرت أعدادا كبيرة منهم على اعتناق النصرانية بالقوة ، وشمل ذلك الرجال والنساء والاطفال دون استثناء ، وبلغت الوحشية في المعاملة مداها في عهد فيليب الثالث (١٦٠٩ ـ ١٦١٤ م) فقد استولى هذا الملك على أموال حوالي خمسة ملايين من المسلمين الذين تمسكوا بالاسلام [٣] وطردهم بصورة غير انسانية بعد ان استولى على أموالهم [٤] ٠

---

(١) المقرى : نفح الطيب ، ج٤ ، ص ٥٢٧

(٢) المقرى : أزهار الرياضة : ج١ ، ص ٦٨ ٠

(٣) أحمد هيكل : موجز عن اسبانيا ، ص ١٧ ٠

(٤) أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الاسلامي ، ج٤ ، ص ٨٠ ٠

ومع ان هناك قلة ظلوا على اسلامهم في الخفاء الا ان ابناء هم وأحفادهم نشأوا لايعرفون الاسلام دينا ولغتقفرحم الله بلادا كان الاسلام فيها عزا شامخا ومجدا تليدا يشهد التاريخ بعظمته وكبريائه ٠

قائمة المصادر والمراجع

---

١ ـ المصادر :ـ

ـ الاندلسي ، أبوالحسن بن عبدالله النبهاني المالقي ، (ت القرن الثامن الهجري) تاريخ قضاة الاندلس (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، المكتب التجاري للطباعة والنشر ، بيروت .

ـ ابن الآبار ، أبوعبدالله محمد بن عبدالله (ت ٦٥٨ هـ) ، الحلة السيراء تحقيق حسين مؤنس ، (القاهرة ١٩٦٣ م) .

ـ ابن الاثير ، أبوالحسن علي بن محمد (ت ٦٣٠ هـ) ، الكامل في التاريخ ، دار صادر (بيروت ١٩٦٦ م)

ـ ابن الخطيب ، لسان الدين محمد بن عبدالله (ت ٧٧٦ هـ) ، الاحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبدالله عنان ، القاهرة ١٩٧٤ م .

ـ ابن الخطيب ، أعمال الاعلام (تاريخ اسبانيا الاسلامية) ، تحقيق ليفي بروفنسال ، دار المكشوف ، بيروت ١٩٥٦ م .

ـ ابن عذارى ، أبوالعباس أحمد بن محمد (القرن الثامن الهجري) ، البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب ، تحقيق بروفنسال ، دار الثقافة ، (بيروت ١٩٣٠ م) .

ـ البلاذرى ، أبوالحسن (ت ٢٧٩ هـ) ، فتوح البلدان ، دار مكتبة الهلال ، (بيروت ١٩٧٨ م) .

ـ الحميرى ، أبوعبدالله محمد بن عبدالمنعم (ت ٧٢٧ هـ) ، الروض المعطار في خبر الاقطار (صفة جزيرة الاندلس) ، (القاهرة ١٩٤٨ م) .

- الفتح بن خاقان ، الفتح محمد بن عبيدالله (ت ٥٢٩ هـ) ، مطمع الانفس ومسرح التأنس ، تحقيق محمد علي شوابكة ، دار عمان - ١٩٨٣ م ٠

- القلقشندى ، أحمد بن علي (ت ٨٢١ هـ) ، صبح الاعشى في صناعة الانشاء المؤسسة المصرية العامة ، (القاهرة ١٣٣٨ هـ) ٠

- المراكشي ، عبدالواحد (ت ٦٤٧ هـ) ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب تحقيق محمد سعيد العريان ، (القاهرة ١٩٦٣ م) ٠

- المقرى ، أبوالعباس أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١ هـ) ، أزهار الرياض في أخبار عياض ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة ١٩٣٩ م) ٠

- المقرى ، نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق احسان عباس ، (بيروت ١٩٦٨ م) ٠

- مؤلف مجهول ، أخبار مجموعة في فتح الاندلس وذكر أمرائها ، مطبعة ربدنير ، (مدريد ١٩٦٧ م) ٠

- مؤلف مجهول ، الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية ، (تونس ١٣٢٩ هـ) ٠

- مؤلف مجهول ، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ، تحقيق محمد بن أبي شنب ، (الجزائر ١٩٢٠ م) ٠

- مؤلف مجهول (القرن ٩ هـ) ، نبذة العصر في انقضاء دولة بني نصر ، تحقيق محمد رضوان الداية ، دار حسان ، (دمشق ١٩٨٤ م) ٠

- أحمد رائف ، وتذكروا من الحرب الابادة ، الزهراء للاعلام العربي ، القاهرة ١٩٨٧ م ٠

- أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٧٩ م ٠

- أحمد مختار العبادى ، في تاريخ المغرب والاندلس ، مكتبة الانجلو المصرية (القاهرة ١٩٨٦ م)
- أحمد مختار العبادى ، دراسات في تاريخ المغرب والاندلس ، مؤسسة شباب الجامعة (الاسكندرية) ٠
- أسعد حومد ، محنة العرب في الاندلس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، (بيروت ١٩٨٠) ٠
- بروفنسال ، أ ٠ ليفي ، الاسلام في المغرب والاندلس ، ترجمة محمود عبدالعزيز سالم وآخرون ، مكتبة نهضة مصر (القاهرة ١٩٥٦ م) ٠
- بروفنسال ، حضارة العرب في الاندلس ، ترجمة ذوقان قرقوط ، مكتبة الحياة ، بيروت ٠
- بطرس البستاني ، معارك العرب في الاندلس ، دار المكشوف (بيروت ١٩٥٠ م)
- حتاملة ، محمد عبده ، محنة مسلمي الاندلس عشية سقوط غرناطة ، مطابع دار الشعب ، عمان ١٩٧٧ م ٠
- حتاملة ، التنصير القسرى لمسلمي الاندلس في عهد الملكين الكاثوليكيين ، عمان ١٩٨٠ م ٠
- شكيب أرسلان ، الحلل السندسية في الاخبار والآثار الاندلسية ، (فاس ١٩٣٦ م)
- شوقي أبوخليل ، فتح الاندلس ، دار الفكر ، (دمشق ١٩٨٣ م)
- صالح أبودياك ، الوجيز في تاريخ المغرب والاندلس ، مكتبة الكتاني اربد ١٩٨٨م ٠
- عادل بشتاوي ، الاندلسيون المواركة ، دار اسامة للتوزيع والنشر ، (دمشق ١٩٨٥ م) ٠

- عبدالحميد العبادى ، المجمل في تاريخ الاندلس ، دار القلم ١٩٦٤ م .
- عبدالرحمن علي الحجي ، التاريخ الاندلسي ، دار العلم (الرياض ١٩٧٦م) .
- عبدالرحمن علي الحجي ، محاكم التفتيش الغاشمة وأساليبها ، مكتبة المنار ، الكويت ١٩٨٧ م .
- عبدالعزيز سالم ، تاريخ المغرب في العصر الاسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة ، (الاسكندرية ١٩٨٢ م) .
- عبدالعزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ، دار المعارف (لبنان ١٩٦٢ م) .
- عبدالعزيز المسند ، الاندلس ، تاريخ وعبره
- عبدالكريم التواتي ، مأساة انهيار الوجود العربي بالاندلس ، مكتبة الرشاد (الدار البيضاء ١٩٨٠ م) .
- عبدالله أنيس الطباع ، القطوف اليانعة من ثمار جنة الاندلس الدانية دار ابن زيدون ، بيروت ١٩٨٦ م .
- عصام الدين عبدالرؤوف الفقي ، تاريخ المغرب والاندلس ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ١٩٨١ م .
- علي محمد حمودة ، تاريخ الاندلس السياسي والعمراني والاجتماعي ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٩٥٧ م
- علي مظهر ، محاكم التفتيش في اسبانيا والبرتغال ، مطبعة أنصار السنة المحمدية ، القاهرة ١٩٤٧ م .
- كورديالك ، لوى ، الموريسكيون الاندلسيون والمسيحيون ، تعريب عبدالجليل التميمي ، الاتحاد العام التونسي (تونس ١٩٨٣ م) .
- كولان . ج . س ، الاندلس ، لجنة ترجمة دار المعارف ، دار الكتاب اللبناني بيروت ١٩٨٠ م .

- محمد عبدالله عنان ، الآثار الاندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال (القاهرة ١٩٦١ م) ٠
- محمد عبدالله عنان ، دولة الاسلام في الاندلس من الفتح الى بداية عهد الناصر ، مؤسسة الخانجي ، (القاهرة ١٩٦٠ م) ٠
- محمد عبدالله عنان ، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة ١٩٦٤ م) ٠
- محمد عبدالله عنان ، نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتنصرين (القاهرة ١٩٦٦ م) ٠
- محمد عبدالهادى شعيره ، المرابطون ، تاريخهم السياسي ، دار الاتحاد العربي (القاهرة ، ١٩٦٩ م) ٠
- محمد علي قطب ، مذابح وجرائم محاكم التفتيش في الاندلس ، مكتبة القرآن ، القاهرة ١٩٨٥ م ٠
- محمد لبيب البتنوني ، رحلة الاندلس ، مطبعة الكشكول ، (١٩٢٧ م) ٠
- يوسف أشباخ ، تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ترجمة محمد عبدالله عنان ، مؤسسة الخانجي ، (القاهرة ١٩٥٨ م) ٠
- يوسف شكرى ، غرناطة في ظل بني الاحمر ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، (بيروت ١٩٨٢ م) ٠

المراجع الاجنبيــة :

- B. Trend, Th Civilization of spain, london, 1963.
- Conde, J,A, History of the dominion of the Arabs in spain, London, 1913.
- Provencal, E.Levi,. Histoire de Espagne Muslmane, Vol.I, Paris, 1950.
- Provencal, La Civilisation Arabeen Espagne, Paris, 1961.
- Stanley lane-poole, The moorsin spain, London 1897.

محتويـات الكتـــاب

صف ومونتاج مؤسسة

قدسيه للخدمات الفنية

والتجارية

تاريخ المغرب والأندلس

من القرن السادس الهجري حتى القرن العاشر الهجري

دار الأمل للنشر والتوزيع

اربد / ص . ب ٤٦٩

تلفون ٢٧٦١٧٤

الشركة الجديدة للطباعة والتجليد

هاتف ٨٤٥١٦٢ - ٨٣٤٣٩٩